سلسلة مجالس السيدة الحسينية

2

مصباح الهدى

معهد سيد الشهداء
للمنبر الحسيني

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

مجالس السيرة الحسينية ٢

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: مجالس السيرة الحسينية ج٢

إعداد : معهد سيد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني

نشر : جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى: كانون الثاني / ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة

مجالس السيرة
الحسينية ٢

معهد سيد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الولاية لنبيه وآل نبيه صلوات الله عليهم، فجعلهم الشموس الطالعة، والأقمار المنيرة، والأنجم الزاهرة، وأعلام الدين وقواعد العلم ، صالحاً بعد صالح، وصادقٌ بعد صادق، وسبيلاً بعد سبيل.

والحمد لله الذي منّ علينا من بينهم بسفينة النجاة، ومصباح الهدى، الإمام الحسين بن علي عليه السلام الذي أُمرنا بإحياء ذكره وإقامة أمره، تعظيماً لحقه.

وبعد

«إنّ من أعظم النعم الإلهية علينا هي مجالس العزاء التي تُقام إحياءاً لذكرى فاجعة عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام . وهذه النعمة الإلهية تتطلب الاستثمار الكامل والبنّاء من قبل العلماء والجمهور معاً.

أمّا استثمار الجمهور لهذه النعمة، فيتمثّل في إقامة مجالس العزاء وتوسيعها على أكبر نطاق ممكن، والمشاركة الفعّالة والجادّة فيها، وجعلها وسيلة لتعميق الارتباط القلبي والنفسي بينهم وبين الحسين عليه السلام وآل النبي صلى الله عليه وآله ، واتّخاذها سبيلاً للوصل بينهم وبين روح الإسلام والقرآن.

وأما ما يرتبط بعلماء الدين، فإن القضية أكثر تعقيداً، فيجب على هذه المجالس أن تتميّز بثلاثة أمور:

الأمر الأول: هو تكريس محبة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم في القلوب؛ لأن

الارتباط العاطفي ارتباط قيّم ووثيق، وعلى الخطباء أن يعملوا في هذه المجالس على تكريس مودة الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيت النبوّة عليهم السلام في قلوب المشاركين، وتوثيق ارتباطهم بمصادر المعرفة الإلهية أكثر فأكثر.

الأمر الثاني: الذي يجب أن تتميّز به المجالس الحسينية، هو إعطاء صورة واضحة عن أبطال قضية عاشوراء للناس وتبيانها لهم، وإن مجالس العزاء على الحسين بن علي عليه السلام، يجب أن لا تكون مجرد منبرٍ لخطابات غير هادفة، لأن هناك في هذه المجالس أناساً يتميّزون بالتفكّر والتعقّل والتأمّل في الأمور، وما أكثرهم في مجتمعنا من الشباب والشيوخ والنساء والرجال الذين يتساءلون مع أنفسهم:

لماذا جئنا إلى هذا المجلس وبكينا على الحسين عليه السلام ؟

ما هو أصل القضية؟

لماذا يجب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام ؟

لماذا جاء الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء وأوجد قضية عاشوراء؟

هذه الأسئلة يجب أن يجاب عنها في المجالس الحسينية، حتى تتعزّز معرفة المستمع بأصل قضية عاشوراء، وإذا لم تتطرّقوا في منابركم وخطبكم ونعيكم إلى هذا المعنى - ولو بالتنويه والإشارة -، فإنّ هذه المجالس ستفقد ركناً من الأركان الثلاثة المذكورة، ومن الممكن أن لا تتحصل الفائدة المتوخاة من المجلس، أو قد تؤدي - فَرضَاً - إلى الضرر لا سمح الله.

أمّا الأمر الثالث: الذي يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار في مجالس العزاء، فهو تكريس المعرفة الدينية والإيمان الديني. إذ أنه لابدّ من التحدّث عن تعاليم الدين في هذه المجالس، بشكل يعزّز إيمان المستمع ومعرفته بالله سبحانه، ولابّد من الموعظة والتطرّق إلى حديث شريف صحيح السند، أو رواية تاريخية

لاستخلاص العبر منها، أو تفسير آية شريفة من القرآن الكريم، أو نقل موضوع مما تطرق له كبار العلماء والمفكرين الإسلاميين. يجب أن لا يكون الأمر بأن يرتقي خطيب المنبر ويتحدث بدون رؤية وبكلام غير هادف، أو يتطرّق في النعي إلى مواضيع هشّة من حيث الفحوى، ليس فقط لا تؤدي إلى تعزيز الإيمان وتقويته، وإنما تؤدي إلى إضعافه. وإذا حدث مثل هذا الأمر، فإننا سوف لن نبلغ الفوائد والأهداف المتوخاة من هذه المجالس.

هذه هي الأمور الثلاثة التي يجب أن تتميّز بها مجالس العزاء:

١. تكريس المودة للحسين بن علي عليه السلام ولأهل بيت النبوة عليهم السلام،

٢. وتعزيز العلاقة والارتباط العاطفي بهم، وإعطاء المستمع صورة واضحة عن واقعة عاشوراء،

٣. وتكريس المعرفة الدينية ووشائج الإيمان بالله سبحانه وتعالى لدى المستمع. وإنه يكفي لو تحقق الحدّ الأدنى من ذلك[1]».

أيها الخطباء و خدّام المنبر الحسيني

يزداد ارتباط الأمة يوماً بعد يوم بذكرى شهادة المولى أبي عبد الله عليه السلام ويدل على ذلك بوضوح المشاركة الجماهيرية الواسعة في المجالس الحسينية والمسيرات العاشورائية التي تقام عاماً بعد عام.

ويقوم خطيب المنبر الحسيني بالدور الأكثر بروزاً وأهمية في استقطاب الأمة وشدّ الجماهير، في موقع يغبطه عليه العلماء والمفكرون والدعاة .

ومن هنا، تبرز أهمية أن يتحلى هذا الخطيب الحسيني بالمواصفات والمؤهلات، التي تجعل منه خطيباً يمتلك لياقة النجاح والتأثير. وهذه المؤهلات تكون في امتلاكه لمهارات فنية تتعلق بفنون الخطابة وحسن الصوت

(١) من كلمة للقائد الخامنئي حفظه الله بمناسبة حلول ذكرى عاشوراء / ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ.

وطيب السمعة ، هذا كله من جهة . ومن جهة أخرى، على الخطيب الاهتمام بالمادة العلمية التي يلقيها على أسماع المشاركين في المجالس العاشورائية.

والأمر الثاني يأخذ بعداً خاصة من الأهمية والخطورة التي تلزم الخطيب الحسيني بمزيد من الدقة والحذر والتنبه لما يعرضه على مسامع جمهوره .

وعندما يتعلق الأمر بعرض سير الشهداء العظام في كربلاء، تبدأ محنة الخطيب. ففي نفس الوقت الذي يكون مطلوباً منه الحديث عن هذه الشخصيات العظيمة يوم كربلاء، فانه لا يمتلك هو ولا غيره النصوص والأحداث الكافية التي تغني المجلس وتسد الحاجة .

ويزداد الأمر تعقيداً، عندما يحصر موضوع المجلس بالجانب التاريخي ويترك لخطيب آخر الحديث في القضايا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية .

وإذا بالخطيب الحسيني يلجأ مضطراً - ومن أجل إغناء موضوع مجلسه - إلى روايات ضعيفة وأخبار غريبة، بل وربما الرؤى والمنامات وأمور أخرى .

وهنا تأتي أهمية العمل على وضع مصدرٍ لخطباء المنبر الحسيني، يسهّل عليهم عملية التحضير والتثبت من المعلومات التي يلقونها على مسامع الجمهور؛ وهذا ما حاولنا القيام به في كتاب (المجالس الحسينية) في إصداره الثاني لهذا العام، والذي يعتبر خطوة صغيرة أخرى على طريق ممتدة ، ترسم معالمها الأفكار و النصائح و التوجيهات التي تقدمونها و يقدمها أهل الخبرة في هذا المجال، فما لا يدرك كله لا يترك جله بأي حال .

يبقى أخيراً الإشارة الى أنه جرى تحديد مجموعة عناوين في كل مجلس هي:

- ❖ قصيدة خاصة للمجلس، تتناسب مع الليلة والموضوع المبحوث فيه
- ❖ موضوع خاص لكل مجلس، يحسن تناوله وإلقاؤه على مسامع الجمهور
- ❖ التخلص والربط بين كل بحث من الأبحاث ومصيبة الليلة.

ختاماً، نسأل الله حسن القبول، وأن يرزقنا شفاعة الحسين عليه السلام يوم الورود، وأن يثبّت لنا قدم صدق مع الحسين وأصحاب الحسين عليه السلام الذين بذلوا مهجهم دونه .

والله من وراء القصد

معهد سيد الشهداء عليه السلام

مجلس الليلة الأولى

الحثّ على إقامة مجالس العزاء

إحياء عاشوراء والقصص القرآني!

القصيدة

القريض

هـــذا المحرّم قـــد أطـــلَّ هـــلالُـــهُ
شـــهـــرٌ بـــهِ وُتـــرَ الـــنـــبـــيُّ وآلُـــهُ
شـــهـــرٌ بـــه سُـــفِـــكتْ دمـــاءُ محمـــدٍ
وأُبـــيـــح ديـــنُ الـــلـــهِ جـــلَّ جـــلالُـــهُ
شـــهـــرٌ بـــهِ بـــيتُ الـــنـــبـــوةِ هـــدَمت
مـــنـــهُ الـــقـــواعـــدُ وانمحت أطـــلالُـــهُ
شـــهـــرٌ بـــه قُـــتـــلَ الحسينُ بـــكـــربـــلا
ظـــامـــي الحشـــا وسُـــبين فـــيـــه عـــيـــالُـــهُ
شـــهـــرٌ بـــهِ الإســـلامُ هـــدَم ركـــنُـــهُ
وعـــلـــى الـــبـــلاد الـــكـــفـــرُ عـــمَّ ظـــلالُـــهُ
شـــهـــرٌ بـــهِ الشـــمسُ المنيرةُ كـــوّرَتْ
غـــدواتُـــهُ ســـودٌ كـــذا آصـــالُـــهُ
شـــهـــرٌ بـــهِ عينُ الســـمـــاءِ بـــكتْ دمـــاً
وبـــكـــى الـــبـــسـيـطُ ســـهـــولُـــهُ وجـــبـــالُـــهُ
شـــهـــرٌ بـــهِ ثِـــقـــلُ الـــنـــبـــيِّ مضـــيَّـــعٌ
وابـــنُ الـــنـــبـــيِّ نـــهبن فـــيـــهِ رحـــالُـــهُ
شـــهـــرٌ عـــلـــى ســـبـــطِ الـــنـــبـــيِّ محرّمٌ
فـــيـــه الـــورودُ وقـــد أبـــيـــح قـــتـــالُـــهُ
يـــا شـــهـــرَ عـــاشـــوراء كـــمْ لكَ في الحشـــا
ضَـــرَمٌ يـــزيـــدُ عـــلـــى المدى إشـــعـــالُـــهُ

(فائزي): هلّ المحرم واستهلتْ دمعة العينْ

الإسلام نصبتْ للمآتم تندب حسينْ

كل عام احنه ابهالشهر ننصب عزيَه

نذكر شهيد الدين بسيوف آل أُميه

وانعزّي الكرار معْ سيد البريَه

وانعزي احنه فاطمه ست النساوين

نبكي على المذبوح وبكانا عباده

نبكي ـ ـ ذبحة اطفاله معَ أولاده

نبكي على المطروح ما تحته وساده

نبكي على مذبحهم وحرق الصواوين

نبكي على صدره تدوسه الأعوجيَه

نبكي على راسه بروس السمهريه

نبكي على مشي الحرم حسره سبيَه

نبكي على سلب الوديعه والخواتين

(نعي): يا هلال من النبي اشعندك عذرْ

من ينشدك ليش بحسين اتغدرْ

شلك سابق عند بني هاشم ديون

مضتْ واسَا بادرتها ابهالشجون

جرَعته الهضم خلّيتْ العيون

دم تهلْ وقلوبنه شبه الجمرْ

يا هلال ولا عِمَلْ مثلك اهلالْ

بينه ولا مثل يومك يوم نال

ولا بغيرك ضلت النه أعلى الرمال

جثث شالوا روسهه ابعالي السمرْ

. (أبو ذيّة): الهلال الكدر والأحزان هلّيت

ودمه عين الموالي بيك هليت

يشهر النوح عالإسلام هليت

تعيد النه مصاب الغاضريّه

الموضوع:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾[1] القرآن الكريم كتاب هداية، جاء لإسعاد هذا الإنسان وخيره واستقامته، جاء لينقذه من الظلمات إلى النور، ومن الحيرة والضلالة إلى الهدى والصواب.

وقد اتخذ القرآن الكريم أساليب عدّة من أجل الوصول إلى هذا الهدف الكبير، أي هداية الإنسان. فتارة، يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى التفكير والتأمل. وتارة يثير أمامه بعض آيات الله تعالى في الكون والمخلوقات وثالثة، يدعوه مباشرة إلى اتباع الأحكام والشرائع مع بيان بعض عطاءات تلك الأحكام المباركة.

ويأتي أسلوب القصة وبيان بعض الأحداث المهمّة التي مرّت على البشريّة، لا سيما في تجارب الأنبياء العظام عليهم السلام، وبعض عباده الصالحين، أحد أهم الأساليب التي وظفها القرآن الكريم في ذلك الهدف الكبير، لما للقصة من تأثير في النفوس، وسهولة في انتقال المفهوم، وتعاطف مع شخصياتها ورموزها. وأن موضوع القصة في القرآن الكريم موضوع كبير ومتعدد الآفاق وكتبت فيه بحوث وألّفت فيه كتب. لكن الذي يهمنا في مجلسنا هذا. ونحن في

(١) سورة يوسف: الآية: ١١١

الليلة الأولى من شهر محرم الحرام (أو اليوم الأول إذا كان المجلس نهارياً). ما ذكرته الآية الكريمة التي استفتحنا بها مجلسنا وهي قوله تعالى: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾[٢] التي جاءت تعقيباً على أحداث سورة يوسف، إذ أوضحت أن الهدف من وراء قصص القرآن ما يمكن استفادته من عبر وأخذه من دروس واستقاؤه من مفاهيم. نعم، فالقرآن ليس كتاب قصة، ولكنه يوظّف القصة ضمن الهدف الكبير في انقاذ الإنسان وهدايته.

ولهذا، يمكن لنا أن نؤكّد؛ أن من أساليب القرآن الكريم المؤثرة، هو أسلوب القصة. ولو أننا قرأنا القرآن الكريم لوجدنا سوره المباركة وآياته الكريمة تضمنت الكثير الكثير من قصص الأنبياء عليهم السلام وحركتهم في المجتمعات، حتى بلغ عدد الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم خمسة وعشرين نبياً، إضافة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم يقتصر القرآن الكريم على بيان حياة ومواقف وجهاد الأنبياء عليهم السلام، بل ذكر مجموعات من المؤمنين والمؤمنات، فقد جاءت قصة أصحاب الكهف وهم شبان مؤمنون مهاجرون من ظلم طاغية كان في عصرهم، كما ذكرت سورة كاملة ما جرى على فئة مؤمنة مضطهدة ومعذبّة عرفت بـ(أصحاب الأخدود)، إضافة إلى نماذج إيمانية أخرى مثل امرأة فرعون، وأم موسى عليه السلام، وصاحب ياسين، ومؤمن آل فرعون.

والذي نريد أن نصل إليه ونؤكّد عليه، أن إعادة قصص ومواقف ذات أبعاد إيمانية وتربوية وجهادية، هي منهج قرآني مبارك، وأن الاستنان به واتباعه يعني تأكيداً لهذا المنهج الهادف.

وعلى ضوء هذا، فإن إحياء أيام عاشوراء وأحداث كربلاء ومواقف

(١) سورة يوسف الآية:١١١

شخصياتها الإيمانية، هو درس نأخذه من القرآن الكريم وأسلوبه القصصي والتربوي. إننا حينما نخلّد واقعة كربلاء وأبطالها ومجاهديها وشهداءها، فإنما نخلّد قيم الإسلام ومفاهيم القرآن ومنهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن مجالس العزاء الحسيني التي تنتشر في شرق الأرض وغربها، في البلدان الإسلامية وفي المغتربات، بلغاتٍ شتى، وطرائق متنوعة، وأساليب متعددة، فإنما هي تنهج نهج القرآن في محاولة الاستفادة من الأحداث الكبرى التي مرّت بالأمة الإسلامية وكيفية استخلاص الدروس والعبر منها، لفهم حاضرها والتخطيط لمستقبلها.

فوائد مجالس العزاء:

ولو طرح علينا سؤال مفادهُ، ما هي الفوائد المترتبة على مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام؟ لأمكن أن نجيب إجمالاً ـ لا تفصيلاً ـ بالنقاط التالية:

١ ـ إن هذه المجالس، مجالس لبيان مفاهيم القرآن الكريم، وقيم الإسلام العظيم ومواقف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. فهي مجالس، الهدف منها فهم الإسلام وتعظيم شعائره وأحكامه. فكم وكم من آية قرآنية تفسّر فيها وأحكام شرعية توضَّح، وسنّة مطهرة تُبيَّن!؟.

٢ ـ إنها مجالس للهداية والاستقامة، حيث إن أجواء عاشوراء تعتبر من أخصب الأجواء التي تشجع على الالتزام وتؤكد على الإيمان، وتوفر مناخات مناسبة جداً للتوبة والإنابة وتغيير المسار نحو الهدى. فكم من شاب اهتدى في أيام عاشوراء؟ وكم من تارك صلاة عاد إليها في هذه الأيام؟ وكم من شابة مسلمة لبست الحجاب اقتداءً بزينب عليها السلام وأخواتها؟ وكم عاصٍ استغفر ربه، وكم من عاكف على ذنب ترك ذنبه، أن أيام عاشوراء هي أيام التوبة وأيام الهداية.

٣ ـ إنها مجالس تؤكد على توثيق العلاقات الاجتماعية وشد الأوامر

الأخلاقية بين أفراد المجتمع، ففي هذه الاجتماعات التي تستمر على أقلّ احتمال عشرة أيام. وإلاّ، فهناك مجالس تستمر لثلاثة عشر يوماً، وفي بعض البلدان تعقد المجالس الحسينية لمدة شهرين متتابعين محرم وصفر، ولك أن تتصور مدى توثيق العلاقات بين روّاد هذه المجالس، الرجال مع الرجال، والنساء مع النساء، والأطفال مع الأطفال.

إن المجالس الحسينية توفر أجواء اجتماعية خصبة لكل عمل اجتماعي هادف ومشروع خيري يحتاجه المجتمع، تُقضى فيها الحوائج ويغاث الملهوف وتبنى المشاريع.

٤ ـ إن المجالس الحسينية تشرح للأجيال تاريخها الإسلامي وجهاد المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار، وتضع أمام الأمة تجارب من سبقها لتكون داعية لتلك الدروس التاريخية، وإن الذين يهتمون بحضور المجالس الحسينية يتميزون ـ من جملة ما يتميزون به ـ معرفتهم بأحداث التاريخ ومواقف شخصياته، بما لا يتوفر ـ عادة ـ إلا للمختصين بعلم التاريخ والسيرة.

٥ ـ إن المجالس الحسينية تقوم بدور كبير في تربية الأمة على رفض الظلم وعدم الخنوع للضيم، وترك الخضوع للطغاة. فإن الذي يعيش أحداث المسيرة الحسينية ويتأمل مواقف شهداء كربلاء الخالدة، ويتشبع بأنفاس الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته التي عقمت الدنيا أن تجد لها مثيلاً، لا شك أنه يتربى على معاني العزّة والأباء والشَّمم وحب الجهاد والتضحية ثم الشهادة في سبيل الله تعالى، وأن الأمة اليوم ـ وكل يوم ـ بحاجة إلى من يؤكد هذه المعاني في مواقفها.

وكل أمة تعيش الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، أمة لا تعرف الضيم ولا ترضى بالهوان، وإن ما جرى في الجنوب اللبناني الصامد ومواقف المقاومين

الشرفاء لهي دليل واضح ومسألة حيّة نعيشها عن مواقف أسطورية خالدة لمن درس في مدرسة الحسين وتربى في مجالسه المعطاءة.

٦ ـ ثم إن هذه المجالس، هي مجالس ولاء ومحبة لرسول الله ﷺ ولآل بيت رسول الله ﷺ الذي كان أول من أقام مجلساً للعزاء على سبطه الحسين عليه السلام منذ يوم ولادته عليه السلام ثم في مواضع ومناسبات أخرى، حتى كان يشترك الصحابة في بكائهم على الحسين عليه السلام، وفي رواية أن رسول الله ﷺ بكى حينما أخبره جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى بما سيجري على ولده الحسين بكربلاء، حتى أنه جاءه بقبضة من تراب كربلاء. وجاءت بذلك الروايات التي طفحت بها مصادر جميع المسلمين.

كما سجلت المصادر التاريخية بكاء أمير المؤمنين عليه السلام حينما مرّ بكربلاء في مسيره إلى صفين حتى بكى وأبكى من حوله وكان منهم عبد اللّه بن عباس وصحابة آخرون.

وحينما حضر الحسين عليه السلام احتضار أخيه الحسن عليه السلام وتوجّع له، التفت إليه أبو محمد ليقول لأخيه الحسين عليه السلام: **لا يوم كيومك يا أبا عبد الله.**

هذا كله قبل واقعة كربلاء، فكيف لا تعظم هذه المجالس وتتأكد، صدقاً وحرقة ومواساة لرسول الله ﷺ ولعلي وفاطمة عليهما السلام بعد شهادته...

وهكذا نجد الأئمة عليهم السلام بعد الحسين عليه السلام في حثّ دائم، وتأكيد مستمر، على إحياء أيام الحسين عليه السلام وإذكاء عاطفة الحزن والبكاء عليه، لأن للعاطفة أكبر الأثر إذا امتزجت مع الفكر والتوجيه الهادف، في ايجاد الإنسان الرسالي، وتربية المؤمن الصادق، وصياغة الأمة التي تتحمل مسؤولية دينها وعقيدتها.

فنجد الإمام علي بن الحسين عليه السلام يقول: «**أيما مؤمن ذرفت عيناه لقتل**

الحسين بن علي عليه السلام حتى تسيل على خده، بوأه الله بها في الجنة عزاً يسكنها أحقاباً»[١].

ويأتي الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام ليؤكد:

«رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكرا في أمرنا، فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما»[٢] وبهدى المجالس يوصي الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

«إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا»[٣].

وكان الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام **«إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، حتى يمضي منه عشرة أيام. فإذا كان اليوم العاشر؛ كان يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين؟**

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال:

«من تذكر مصابنا وكبر لما ارتكب منا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة. ومن ذكَر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون. ومن جلس مجلساً يُحيا فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[٤].

وعلى مسيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام سار العلماء والفقهاء ثم المؤمنون في احياء هذه المجالس، وترك السعي في حوائجهم لحضورها وتخليدها، يحدوهم في ذلك طلب مرضاة الله تعالى وحب رسول الله صلى الله عليه وآله وولاء أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ثم هذا الحب الأسطوري للحسين عليه السلام، الذي يدخل أعماق النفس ويخالج نبضات القلب وتهفو له الأرواح...

---

(١) اللهوف، ص٦٥.

(٢) أصول الكافي، ج٢، ص ٩٤١.

(٣) بشارة المصطفى، للطبري، ٥٧٢.

(٤) أمالي الصدوق، ص٦٥٧.

وما أصدق وأروع ما قاله الشاعر:

يا ابن النبي المصطفى ووصيّه

وأخا الزكي ابن البتول الزكيه

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة

لكنما عيني لأجلك باكيه

تبتلّ منكم كربلا بدمٍ ولا

تبتلُّ مني بالدموع الجاريه

أي والله يا سيدي يا ابن رسول الله:

. (أبو ذيّة): لولاك الفرض يحسين ما تّ

وحك قلبك المنّه ثلث ما تمّ

إلك بقلوبنا يحسين ما تم

لفقدك يا غريب الغاضريه

سرٌّ من الأسرار الكبيرة هذا الحزن المتوارث جيلاً بعد جيل، وهذا التأجّج في المشاعر أمة بعد أمة.

(فائزي) يلي تناشدني عليمن تهمل العين

كل البكا والنوح والحسره على حسين

حبّه بقلبي وتظهره بصبه دموعي

مجبور في حبّه ولا اشوفه ابْطوعي

يا ريت قبل ضلوعه انرضّت ظلوعي

ومن قبل خدّه اتعفّرت مني الخديّن

ابكي على مصابه بكل صبح ومسيّه

أبكي وأساعد عالبكا الزهرا الزكيه

المازال تندب يا ذبيح الغاضريه

يحسين يبني يا حبيبي وقرّة العين

نعم الزهراء عليها السلام التي لم يجد شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي من يوجّه عزاءه إليه سواها وهو بحضرة الإمام الرضا عليه السلام يقرأ قصيدته التائية الخالدة، فيما قال له الإمام عليه السلام يا دعبل عرّج بنا على كربلاء.

فانتحب دعبل باكياً وصرخ قائلاً:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا

وقد مات عطشاناً بشط فراتِ

إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده

واجريتِ دمع العين بالوجناتِ

توفوا عطاشا بالفرات فليتني

توفيت فيهم قبل حين وفاتي

عظم الله لك الأجر يا سيدتي ومولاتي يا فاطمة الزهراء:

(نعي): وينه اليواسيني بدمعته

على ابني الذي حزّوا رقبته

وظلّت ثلث تيام جثته

ولا نايحه الناحت وي اخته

ولا شيعّت جثته أو دفنته

(نعي): أنه الوالده والقلب لهفان

ادوّر عزا ابني وين ما كان

أويلي على ابني المات عطشان

وتلعب عليه الخيل ميدان

(تخميس): فمن مبلغ الزهراء بضعة أحمد

قضى نجلُها ظامٍ بصارم ملحدِ

أيقضي طمأ سبطُ النبي محمدِ

ووالدهُ الساقي على الحوض في غدِ

وفاطمةٌ ماءُ الفرات لها مهرُ

(أبيات التخلّص): لا بد أن ترد القيامة فاطمٌ

وقميصها بدمِ الحسين ملطخُ

ويلٌ لمن شفعاؤه خصماؤه

والصور في يوم القيامة يُنفخُ

مجلس الليلة الثانية

الخروج من المدينة الى مكة

خصائص ثورة الإمام الحسين عليه السلام

القصيدة

القريض

أيُّ يـــومٍ دهـــى الـــهـــدى بمصـــابِ
نُـسـفتْ فـيـه شـامخاتُ الـهضـابِ
يـــومَ ســـارَ الحسينُ مـــن طـيـبـةَ في
خيرِ سَـفْـرٍ مـن رهـطـهِ والصَّحـابِ
هـجـرَ الـدارَ قـد سـرى كـابنِ عِـمـرا
نَ مـن الـلـيـلِ يـرتـدي بـإهـابِ
يـقـطـعُ الـوعـرَ مـثـل مـا يـقـطـعُ البـدْ
رُ عسـراهُ مـن خـلالِ السَّـحـابِ
بـنـسـاء كـأن صبرهـا الشـمَّ
مـثـل رمـلـى وزيـنبٍ ورباب
ونجوم مـن صـبـيَـةٍ وصـغـارٍ
طـلـعتْ في هـوادجٍ كـالـقـبـابِ
تـتـهـادى بـهـا هـوادٍ كـآطـا
مِ قصـور مـلـثـمـة الأعـتـابِ
هـو أمَّ يـوم فـرَّ مـن حـرم الـلـ
ـهِ إلى دار نُـزحـةٍ واغترابِ
تترامـى بـه الـقـفـارُ كـحيرا
نَ يـجـوبُ الـدُجـى بـأرضِ خـرابِ
لـيس يـدري يـأوي إلى أي أرضٍ
أبصـنـعـاء أم بـروسِ الشـعـابِ؟

تـــرك الجوارَ جـــوارَ جـــدٍّ هـــادٍ
لَـــمَّ ذكـــرى لسُـــنـــةٍ وكـــتـــاب

(فائزي): حمَلْ اضعونه من المدينة بوعلي وشال
ويَاه صـفـوه مـن هـلـه شيَـالـة أحـمـال
حمَلْ اضعونه من المدينه وشال بالليل
ويَاه صفوة من هله شدَت على الخيل
وزينب تعاين للوطن وادموعها تسيل
تنادي ابجمعنه انعود لو يتبدَل الحال
ليشٍ يا زينب عندك رجال وتخافين
قبل المصيبه بالهضم والذل تحسَين
اشلون حالِك لو مشوا كلهم عن حسين
تالي العشيره حسين ظلّ متوسدَ رمال
وانتي تنّخين الأهل والكل على القاعِ
كلهم نشامه واخوتِك حلوين الاطباع
لكن يا زينب ما نهض للحرم فزّاع
يحمي الخيمَ في كربلا ويردّ الاذال

(نعي): خرجنا بشملنه من المدينه
والـنـاس كـانـوا حـاسـديـنـه
ولـرض كـربـلا لمن لـفـيـنـه
أخـونـه انـذبـح واحـنـه انسـبـيـنـه
يـدرون اهـلـنـه اشصـار بـيـنـه
بـديـرة غـرب شـنـهـو حـكـيـنـه

وعـبـاس حـمـايَ الـظـعـيـنـه

عـالـعـلـقـمـي مـقـطّـعين ادينـه

(أبو ذيّة): اقضّي بالحزن يومي وابيته

عـفـت الـعـيش عـالـذلـه وأبـيـتـه

شـال حسين عـن داره وبـيـتـه

بـلـيـل وظـلّـت ديـاره خـلـيَـه

الموضوع

جاء في وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب»[1].

مما يميّز نهضة الإمام الحسين عليه السلام، أنها نهضة أربكت الحكم الأموي آنذاك بخصائصها المتفردة، فإن زعيمها هو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن علي أمير المؤمنين عليه السلام وابن فاطمة الزهراء عليها السلام وأخو الإمام الحسن عليه السلام، وقد نزلت فيه آيات قرآنية كريمة، وجاءت في حقّه أحاديث اشتهرت بين المسلمين، قالها جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. فكان للحسين عليه السلام منزلة لا تضاهيها منزلة أخرى، وموقع لا ينافسه موقع آخر، ديني أو اجتماعي في الأمة الإسلامية ومن الصحابة مهاجرين وأنصاراً فضلاً عن أبنائهم.

كما وتميزّت هذه النهضة الخالدة، بمشروعها الذي هو المشروع الإسلامي الأصيل المنطلق من القرآن الكريم والسنة المطهرة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، تلك السنة التي أراد الطغاة الأمويون طمسها

(١) احقاق الحق ،للتستري،ج١١،ص:٦٠٠ .

وتشويهها، فنهض الحسين عليه السلام يبيّن للناس سنة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، حتى إنه دعا إلى مؤتمر عام في مكة المكرمة قبل موت معاوية وتنصيب يزيد خليفة له، مؤتمر دعا إليه كبار الصحابة والتابعين، فما ترك شيئاً من آية قرآنية كريمة نزلت في أهل البيت عليهم السلام أو حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله في فضلهم إلاّ وذكره، فكان الصحابي يقول: أشهد أني قد سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان التابعي يردد بعده: إني سمعت ممن أثق به أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكانت نهضة الحسين عليه السلام نهضة منطلقة من منبع الإسلام الأصيل. ولا يستطيع أحد أن يزايد على الإمام الحسين عليه السلام في نقاء الهدف وصدق الفكرة ووضوح المبدأ. ولهذا قالها الحسين عليه السلام صريحةً: «**أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب**».

ومما يميز هذه النهضة الحسينية المباركة، تحركها من موقع لآخر، وهجرتها من أرض لأخرى. فلا يكاد المناوؤن يخططون للايقاع بهذه النهضة ورموزها ولا سيما الإمام الحسين عليه السلام في مكان، إلاّ ويتفاجؤون بتحركها إلى مكان آخر.

ولو أننا تصورنا أن الحسين عليه السلام بقي في المدينة المنورة، ولم يهاجر إلى مكة أولاً ثم إلى العراق ثانياً حتى شهادته، فماذا يمكننا أن نتوقع من تطورات وأحداث؟

إن الحسين عليه السلام لن يبايع يزيد أبداً، كما أكّد ذلك عليه السلام للعديد من الناس وفي مناسبات مختلفة، ومنها ما قاله لأبناء عمومته واخوته، إنه لن يبايع يزيد حتى إذا لم يبق في الأرض له ملجئ. هذا أولاً.

وثانياً: إن الأمويين لن يدعوا الحسين إما أن يبايع أو يقتل. إذاً لا بدّ من

المواجهة مع الحسين عليه السلام داخل المدينة، ولا نتصوّر أن الناس كانوا مؤهلين للوقوف مع الحسين عليه السلام آنذاك. المدينة التي لم يخرج منها أحدٌ مهاجراً مع الحسين عليه السلام، وكذلك أهل مكة، يقول ابن عساكر الدمشقي في تاريخ دمشق: لما خرج الحسين عليه السلام من مكة، كان معه ستون شيخاً من أهل الكوفة كانوا قد قدموا إليها لما سمعوا بخروج الحسين عليه السلام وقد قتلوا معه بكربلاء.

وبهذا، فإن الصورة الأرجح أن الحسين عليه السلام سوف ينازل القوم بأهل بيته والمخلصين له ـ وهم قليل ـ ثم تنتهي المعركة، دون أن يحدث ذلك الدويّ الكبير والصدى الهائل الذي حدث لاستشهاده عليه السلام بكربلاء، ثم ما قامت به السبايا من النساء والأطفال من أدوار تبليغيّة واعلامية كبيرة ومؤثرة في العالم الإسلامي آنذاك، حتى بكى المسلمون لمقتل الحسين عليه السلام في الكوفة ثم الشام حتى المدينة، مع كل القرى التي مرّ بها ركب السبايا، بعد أن تتوضح له الحقائق وتكشف المواقف.

هذا كله على احتمال وقوع معركة في المدينة المنورة، إذ من المحتمل أن تتم تصفية الحسين عليه السلام عبر عملية اغتيال إما معروفة ومكشوفة، أو عملية اغتيال عابرة. وقد تسجّل القضية ضد مجهول، ولا يترك دم الحسين عليه السلام وشهادته ما يؤملّ منها ويُرتجى.

إذاً كانت الميزة الثالثة والمهمة لنهضة الحسين عليه السلام، عدم بقائها في مكان واحد وعدم تقيّدها في بُعد جغرافي محدّد، بل كانت المواقع تتبدّل حسب تغير الأوضاع ومتطلبات التحركات.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام مهتماً جداً بأن يوصل صوته إلى أوسع دائرة ممكنة، وهذا الأمر لا يتم إلا مع هجرته عليه السلام خارج المدينة. إن الحسين عليه السلام لم يبق في المدينة المنورة إلا ليلتين فقط، وبدأ التطور الهائل بوصول خبر وفاة معاوية من الشام إلى الحجاز.

وهجرة الحسين عليه السلام هي امتداد لهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله من قبله فالهدف بينهما واحد وهو نصرة دين الله تعالى، والدفاع عن قيم القرآن الكريم، ومفاهيم الإسلام العظيم.

وكما أن هجرة النبي صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة قد أحدثت تغيّراً كبيراً في واقع الدعوة الإسلامية آنذاك، حيث انتقل المسلمون من موقع إلى موقع أقوى ومن ظرف إلى ظرف أشد على أعداء الله والإنسان. لقد كان المسلمون قبل الهجرة أمه مستضعفه معذبّة مضطهدة، يعذبون في ساحات مكة والنبي صلى الله عليه وآله يمرّ على المؤمنين المعذبّين يوصيهم بالصبر، ولا تزال مقالته صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر وأبيه ياسر وأمه سميّة (رض)، لا تزال مقالة خالدة: «**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**»[1]، وبعد الهجرة، نجد أن هؤلاء المهاجرين المستضعفين يطاردون صناديد قريش في واقعة بدر، حتى جلس عبد الله بن مسعود (رض) على صدر الطاغية أبي جهل وحزّ رأسه بسيفه وجاء به إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فسجد شاكراً لله.

إن الهجرة تعني تغيراً في مواقع العمل للإسلام من موقع إلى موقع أكثر عطاءً وتأثيراً وحرية في الحركة والدعوة إلى الله تعالى.

وقد سبق النبي صلى الله عليه وآله أنبياء كثيرون كانوا قد هاجروا، فإبراهيم عليه السلام كان مهاجراً، حيث هاجر من مسقط رأسه أور في جنوب العراق إلى الشام ومصر والحجاز، وكذلك هاجر معه لوط عليه السلام. وكان موسى قد هاجر بقومه من مصر واجتاز بهم اليمّ، وكان من ألقاب عيسى بن مريم عليه السلام المسيح، أي من السياحة وهي الانتقال من محل لآخر على ما في بعض التفسيرات هداية للناس ودعوة إلى الدين القويم.

(١) المجموع، محي الدين النوري، ج١، ص:٨١.

وإننا بحاجة إلى أن نعيش الهجرة ليس كحدث تاريخي فقط، بل كمفهوم تغييري في حياتنا ومواقفنا، إذ علينا أن نهجر السلبي في مواقفنا إلى الإيجابي، نهجر الذنوب والمعاصي نتوب إلى الله، والتوبة هي هجرة إلى الله تعالى، نهجر القطيعة فنصل أرحامنا، فصلة الأرحام هي هجرة إلى الله تعالى، نهجر التواكل فنعمل ونكدّ وننتج، والعمل والعطاء هجرة إلى الله تعالى. لنجعل من بداية السنة الهجرية، بداية للتغيير نحو الأفضل والأحسن في علاقتنا مع الله تعالى، وفي علاقتنا مع أنفسنا، وفي علاقتنا مع الآخرين، لنجعل من هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم هجرة سبطه الإمام الحسين عليه السلام باعثاً لنا للهجرة إلى الموقع الأفضل والموقف الأفضل والخلق الأفضل والتعامل الأفضل.

لقد كانت هجرة الحسين عليه السلام سنة نبويّة، أي أنه عليه السلام استنّ بسنة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله. النبي صلى الله عليه وآله هاجر من مكة إلى المدينة، ولكن الحسين عليه السلام هاجر من المدينة إلى مكة، بعد جملة تغييرات سريعة حدثت منذ أن وصل كتاب من يزيد إلى واليه على المدينة الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط، يدعوه فيه إلى أخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة عامة، وأن يؤكد على أخذها من الحسين عليه السلام وإن أبى يقطع عنقه.

وكان الحسين عليه السلام جالساً مع عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير في مسجد جدّه صلى الله عليه وآله لمّا جاءهم رسول الوالي يدعوهم إلى قصر الإمارة ليلاً.

فقال ابن الزبير للحسين عليه السلام: «ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟

فأجابه الإمام عليه السلام: «**أظن أن طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا في الناس الخبر**».

فكان كما توقع عليه السلام أما مواقف الثلاثة فقد كانت متباينة، فعبد الله بن

عمر قال: إني أدخل بيتي متى بايع الناس بايعت!

وأما عبد الله بن الزبير، فقد خرج هارباً باتجاه مكة في تلك الساعة ومعه أخوه جعفر سالكاً طريقاً فرعياً. لكن الحسين عليه السلام قال: **أجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه.** فلما حذّره ابن الزبير، قال عليه السلام: **لا آتيه الاوان على الامتناع، أي أني أكون قادراً عن أن امتنع منه إذا أراد الاعتداء عليّ.**

وهكذا جرت الأمور حيث دخل الحسين عليه السلام دار الامارة وترك فتيته مسلحين على بابها، وأوصاهم إذا سمعوا صوتاً قد علا أو دعاهم، أن يهجموا الدار.

ودخل الحسين عليه السلام فوجد الوليد الوالي، وعنده مروان بن الحكم...

ثم أن الوالي أخبر الإمام الحسين عليه السلام بوفاة معاوية، فاسترجع الحسين عليه السلام، ثم قال له: **ولماذا دعوتني؟** فقال: دعوتك للبيعة!

فبادره الحسين عليه السلام قائلاً: **إن مثلي لا يبايع سراً، ولا يجتزى بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة دعوتنا معهم، كان الأمر واحداً.** فقال الوليد: أجل، انصرف إذا شئت على اسم الله، حتى تأتينا مع جماعة الناس.

وإذا بمروان يقول: والله، لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلى بينكم وبينه (وهو لا يعلم أن الحسين عليه السلام جاء بفتيانه مسلحين على باب الدار). إحبسن الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه!

فوثب الحسين عليه السلام قائلاً: **«أنت تقتلني أم هو!؟ كذبت والله ولؤمت!** ثم أقبل على الوليد الوالي مخاطباً: **«أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل**

فاسق شارب للخمر قاتل للنفس المحترمة معلناً بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، كلنا نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالخلافة والبيعة»[1]!

ثم دخل فتية الحسين عليه السلام وأخرجوه، فقال مروان للوليد: عصيتني، ـ لا والله ـ لا يمكّنك مثلها من نفسه أبداً.

فقال له الوليد: ويحك، أشرت عليّ بذهاب ديني ودنياي؟ والله، ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها، وإني قتلت حسيناً، سبحان الله، أأقتل الحسين عليه السلام أن قال: لا أبايع! والله ما أظن أحداً يلقى الله بدم الحسين إلاّ وهو خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكيّه وله عذاب أليم».

فرد عليه مروان مستهزئاً: إن كان هذا رأيك فقد أصبت. ولهذا فقد عزل الوليد بعد ذلك، وعيّن سعيد الأشدق محلّه.

وأما الحسين عليه السلام، فإنه خرج من دار الإمارة إلى مسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتى قبره وقال: «**السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلفتني في أمّتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم خذلوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك**» ولم يزل راكعاً وساجداً حتى الصباح.

لقد كان الحسين عليه السلام يعلم أن ساعة فراقه جدّه ومدينة جده قد أزفت، وهذه الساعات تمرّ سريعاً، فهو عليه السلام يريد أن يتزوّد من الصلاة والدعاء وزيارة قبر جدّه صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الليلة الثانية، وهي الليلة الأخيرة للحسين عليه السلام بالمدينة، حيث قضاها أيضاً بجوار قبر جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث وقف أمام القبر الشريف حزيناً كئيباً يناجي ربه عند قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: **اللهم إن هذا قبر نبيّك محمد،**

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام للقرشي، ص٣٨٢.

وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم إني أحبُ المعروف وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه، إلاّ ما اخترت لي ما هو لك رضا ولرسولك رضا».

ثم جعل يبكي عند القبر، حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فأغفى، فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه، فجاء وضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره، وقبّل بين عينيه وقال: «**حبيبي يا حسين، كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كربلاء، بين عصابة من أمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم!؟ لا أنالهم الله شفاعتي...**

فجعل الحسين عليه السلام في رؤياه ينظر إلى جدّه ويقول:

«**يا جدّاه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنُيا فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك...**»[1].

ضمّني عندك يا جداه في هذا الضريح .

علّني يا جدُ من بلوى زماني استريح

ضاق بي يا جدُ من رَحُبِ الفضا كل فسيح

فعسى طود الأسى يندك بين الدكتين

أنت يا ريحانة القلب حقيق بالبلاء .

إنما الدنيا أعدت لبلاء النبلاء

لكن الماضي قليل بالذي قد أقبلا

فاتخذ درعين من حزم وعزم سابغين

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٤٢٣.

. ستذوق الموت ظلماً ظامياً في كربلا

وستبقى في ثراها ثاوياً منجدلا

وكأني بلئيم الأصل شمرٍ قد علا

صدرك الطاهر بالسيف يحزّ الودجين

. وكأني بالأيامى من بناتي تستغيث

سُغَباً تستعطف القوم وقد عزّ المغيث

قد برى أجسامهن الضربُ والسيرُ الحثيث

بينها السجّاد بالأصفاد مغلول اليدين

(نصاري): وصل ويلى قبر جدّه وبكى حسين

يودعه والدمع يهمل من العين

هوى فوق الضريح وصاح صوتين

يجدّي مفارقك غصباً عليه

يجدي بوسط لحدك ضمني ويّاك

تراني الضيم شفته عقب عيناك

يقلّه يا حبيبي وعدك إهناك

تروح وتنذبح بالغاضريه

تروح وتنذبح يحسين عطشان

وتبقه أعلى الأرض مطروح عريان

يظل جسمك لصد الخيل ميدان

ولا تبقه من ظلوعك بقيّه

ثم إنه عليه السلام انتبه من نومه، ثم بادر إلى وداع قبر أمه فاطمة الزهراء عليها السلام وأخيه الحسن عليه السلام فودعهما في جوف الليل. ثم عاد عليه السلام إلى بيته فقصّ رؤياه على أهل بيته، وبني عبد المطلب، فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق الأرض ولا في مغربها قومٌ أشدُّ غمّاً من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أكثر باكٍ وباكية منهم.

ثم إن الحسين عليه السلام أخذ يهيء نفسه وأهله للرحيل، ومغادرة وطن جدّه حيث ذكريات النبوة ومهبط الوحي، وبيت فاطمة وعلي، وملاعب الطفولة وأيام الصبا، والأهل والعشيرة والأحبة.

وتذكر بعض الأخبار أن طفلة عليلة كانت للحسين عليه السلام تسمى فاطمة وتلقّب بالعليلة، منع مرضها الحسين عليه السلام أن يأخذها معه، بل تركها وديعة عند أم المؤمنين أم سلمة (رض).

فلم تستطع هذه الطفلة تحمّل ما سمعت، كيف تُترك وحدها ودار أبيها ودور أعمامها واخوتها خالية موحشة؟ وأين تتجه؟ وإلى من تشكو حالها وعلتها؟ وكيف تقوى على تحمّل فراقهم والتصبّر على جمر غربتهم؟.

فأخذت تتوسل بأبيها الحسين عليه السلام أن يأخذها مع أهلها وأحبتها:

(نصاري): **يبويه حسين ويّاكم اخذوني**

عقبكم يا هلي يعمن عيوني

وحدي بها لوطن لا تخلوّني

عليلة والجسم يلظم بالسمَ

فحاول الحسين عليه السلام بيان صعوبة السفر عليها وأنهم سيبعثون إليها إذا استقر بهم المقام وجاءت لهم الأيام بما يتمنون ويرجون:

ناداها الحسين ودمعته تسيل

يبعد أهلي سفرنا دربه اطويل

يبويه انتي عليله وجسمك نحيل

وعلى المثلك يبويه السفر يحرم

يبويه ردّي وتمّي ابها لدار

وكل يوم اليمر نبعثلك أخبار

يبويه لو شفت لينه الفلك دار

تجينه انتي وشملنه هناك يلتم

تقله شلون أتمْ بالدار وحدي

عليكم ما اقدر اصبر وحق جدّي

يبويه عاد خلّي الطفل عندي

يسر قلبي امتشوفنه ايبتسم

ثم سار الركب الحزين وهي تنتقل من هودج لهودج ومن محمل لمحمل تتوسل وتبكي، فضمتها إليها أم سلمة واختلطت دموعها بدموعها.

ولما رجعت إلى بيت أبيها الحسين عليه السلام، وجدته خالياً موحشاً حزيناً كئيباً، ينعى نزّاله، ويبكي عُمّاره، فهاج بها الحزن، وتحادرت دموعها على خديها؛ وأخذت تبحث عمن يرسل إلى أهلها رسالة منها، بعد أن طال غيابهم، وازدادت فرقتهم، وعظمت بذلك مصيبتهم،

(نعي): وين الذي ياخذلي كتاب

بيه البواكي وبيه العتاب

للخلّوا عيوني على الباب

ما عليّ ودوا شنهو الأسباب

ظـــلـــيت احسَـــب مـــيَّـــة حســـاب

مـــدري اشصـــار بـــهـــلـــي الـــغـــيَـــاب.

لحدّ يلوم القلب لو ذاب

(تخميس): يا عاذليّ اقطعوا ما عندكم ودعوا

ابكي على مَن بقلبي حبُّهم طبعوا

غابوا وعن ناظري طيب الكرى منعوا

نـذرٌ عـلـيَ لـئـن عـادوا وإن رجـعـوا

لازرعنّ طريق الطف ريحانا

(بيت التخلّص): اترى يعود لي الزمان بقربكم

هـيـهـات مـا لـلـقـربِ مـن مـيـعـادِ

مجلس الليلة الثالثة

الخروج من مكة إلى العراق

الموت حافز أم مانع؟

القصيدة

القريض

هـي المعـالمُ ابـلـتـهـا يـدُ الـغِـيَـر
وصـارمُ الـدهـرِ لا يـنـفكُّ ذا أثـرِ
يـا سـعـدُ دعْ عنك دعوى الحبّ ناحيةً
وخـلّـنـي وسـؤال الأرسُـمِ الـدُثُـرِ
أيـن الألى كـان إشـراقُ الـزمـانِ بـهـم
إشـراقَ نـاصـيـةِ الآكـامِ بـالـزَّهَـرِ
جـار الـزمـان عـلـيـهـم غير مـكـترثٍ
وأيُّ حُـرٍّ عـلـيـه الـدهـرُ لم يَـجُـرِ
وكـم تـلاعب بـالأمجادِ حـادثُـهُ
كـمـا تـلاعبت الصبـيـان بـالأكـري[1]
وإن يَـنَـل مـنك مـقـداراً فـلا عـجبٌ
هـل ابـنُ آدمَ إلاّ عُـرضـةُ الخطـرِ؟!
وكـيـف تـأمـن مـن جـورِ الـزمـانِ يدٌ
خـانت بـآل عـلـيٍّ خيرةِ الخِيَـرِ؟
افـدي الـقـرومَ الأُلى سـارت ركـائـبـهـم
والموت خَـلـفُـهُـم يمشـي عـلـى الأثـرِ
سـاروا فـلـولا قضـاءُ الـلـهِ يُـمسـكـهُـمْ
لم يتركـوا لـبـنـي سـفـيـان مـن أثـرِ
(قـد غـادروا مـكّـةَ والـدمـع مـنـهـمـرٌ
نـحـو الـعـراق بـعـزمٍ رائـع الصِـوَرِ)[*]

(١) جمع الأكره أي الكرة.
(*) للشيخ كاظم الأزري رحمه الله،عدا البيت الأخير) ،رياض المدح والرثاء،ص:٢٦٢.

(فائزي): من شاف دين الله بخطر من آل أميَه

عزم على ترك الحجيج ابن الزكيَه

من سمعوا بنيته اكصدوه الهاشميَين

قالوله ناوي بالسفر يحسين لاوين

عزنا يتهدم بعد عينك والمسلمين

يذلون وبيوتك تظل وحشه وخليَه

محمد يقلَه يصعب اعليَ هالفراق

من روحتك ذاب القلب بيَ الفضا ضاق

إن كان هذي سفرتك خويه للعراق

إتركْ أخاف عليك غدر جيوش أُميَه

ناده يخويه هالسفر خارهُ الرحمان

لا بد اروح لكربلا واندبح عطشان

وتبكي عليَ املاكها والأنس والجان

وأمَي وأبوي المرتضى وسيد البريَه

(تخميس): سارت بهِ تطوي الفيافي بُدنهُما

يرمي سهولَ البيد فيه حَزنُها

قد غادر البطحاء يندبُ ركنُها

وقد انجلى عن مكةٍ وهَوابنُها

(تخميس): وبه تشرفت الحطيمُ وزمزمُ

من مكةٍ خرجوا بخيرِ تحيَةٍ

وتجهُزوا نحو السرُى بضحيَةٍ

حتى إذا ركبوا بأحسنَ هيئةٍ

حـفَـتـه خير جـمـاعـةٍ مضـريّـةٍ

كـالـبـدر حين تحفّ فـيـه الأنجمُ

(أبو ذيّة): اكتبوله اتنعش ألف كتاب بالسرّ

إمـام وشـيـعـتك تـنـخـاك بـالسـرّ

آمـر لـلـفـواطـمْ تشـد بـالسـر

اركبنْ والـعـزم لـلـغـاضـريّـه

الموضوع

من خطبة للإمام الحسين عليه السلام:

«خُطَّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وخِير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء»[1].

مقطع من خطبة للإمام الحسين عليه السلام، خطبها بمكة المكرمة حينما عزم على البدء بمسيرته الاستشهادية الخالدة باتجاه كربلاء. حيث كان الإمام عليه السلام يرمي إلى عدة أبعاد من خطبته هذه، منها: أن كل المؤشرات تدلّ على أن الأمر سينتهي بمواجهة لا بدّ منها مع الأمويين، لأنه عليه السلام يرفض البيعة ليزيد، والأمويون لا يتركون الحسين عليه السلام، فإما البيعة أو القتل. ومنها: أن الحسين عليه السلام أراد أن يهيء نفوس أنصاره الذين التحقوا به في مكة وغالبيتهم من الكوفة مع بعض الأفراد من البصرة، وكذلك نفوس أهل بيته، لتبدأ عملية الإعداد ورفع حالة الاستعداد، والبدء بأولى مراحل الاختبار، الذي ينتهي بيوم عاشوراء الذي سطّر فيه هؤلاء الأشاوس ملحمة الطف الخالدة.

ومن أبعاد هذه الخطبة كذلك، أن الإمام الحسين عليه السلام كان يواجه

(١) البحار، ج٤٤، ص:٣٦٤.

مخططاً أموياً ركّز على تخويف الأمة من الموت، حتى تشُلّ عزيمتهم ويهربوا من مواقع مسؤولياتهم الشرعية والتاريخية، فيخضعوا لحكم الطغاة والظلمة، ولا يقووا على تأييد المخلصين ونصر المجاهدين.

لقد كان التخويف من الموت سلاحاً من أمضى الأسلحة ـ ولا يزال ـ عند الأنظمة الظالمة وطواغيت الأرض.

فحينما يخطب الحسين عليه السلام أول خطبة عامة، لأنه عليه السلام لم يخطب بالمدينة المنورة ولم يواجه الأمة، فكانت خطبته عليه السلام هذه في مكة هي أول خطبه التي ستسجّل على طول الطريق من مكة إلى كربلاء، إضافة إلى خطبه يوم عاشوراء، والتي تحتاج ـ أي هذه الخطب ـ وما حوته من مفاهيم وأبعاد إلى دراسة خاصّة.

إذاً إن أول خطبة للحسين عليه السلام كانت خطبة تتضمن توجيهاً وتربيةً ومفاهيم على خلاف التوجهات ومناهج التربية ومفاهيم الأمويين في تخويف المسلمين من الموت ومواجهة الظلم والطغيان.

إن الإنسان يحب الحياة ويكره فراق الدنيا، وهو أمر يحسه كل إنسان، فهو متعلق بهذه الحياة، وقد أشار القرآن الكريم في آيات عدّة إلى هذه الظاهرة الإنسانية.

١ . ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾[١].

٢ . ﴿يدرككم الموت لو كنتم في بروج مشيدة﴾[٢].

٣ . ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾[٣].

كما أن القرآن الكريم أكّد أن مسألة الموت هي مسألة حتمية لا بد أن تنتهي حياتنا بها في هذه الدنيا شئنا أم أبينا..

(١) سورة الجمعة الآية:٨. (٢) سورة النساء الآية:٧٨. (٣) سورة البقرة الآية:٩٤.

﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾[١].

﴿يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾[٢].

وكما مات الآخرون فإننا لا بد أن نموت:

رأيت المنـــايـــا قسَـــمت بين أنـــفسٍ

ونـفسـي سـيـأتـي بـيـنـهـن نصـيـبـهـا

فـيـا هَـادم الـلـذات مـا مـنك مـهـرب

تحاذر نـفسـي مـنك مـا سـيصـيُـبـهـا

فلا خلود في هذه الدنيا، هل خلد الأنبياء والأئمة عليهم السلام؟ أم هل بقي العلماء والصالحون، فضلاً عن غيرهم؟.

ولو أن أحداً كان جديراً بالخلود، لكان ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الله تعالى خاطبه بقوله جلّ اسمه: ﴿إنك ميّت وإنهم ميّتون...﴾[٣].

ولهذا فقد رثى أمير المؤمنين عليه السلام أخاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأبيات:

الموت لا والـــداً يُـــبـــقـــي ولا ولـــدا

هـذا السـبـيـلُ إلى أنـه لا تـرى أحـدا

لـلـمـوت فـيـنـا سـهـامٌ غير طـائشـةٍ

مـن فـاتـه الـيـوم سـهـمٌ لم يـفـتـه غـدا

هـذا الـنـبـي ولم يـخـلَّـد لأمـتـه

لـو خـلَـد الـلـه خـلـقـاً غيرهَ خَـلُـدا

وهذه مسألة واضحة لا خلاف فيها، لأن الكل يؤمن بأن هذه الحياة تنتهي بالموت، ولكن الأمر يكمن في موضوع النظرة للموت والاستعداد له، وإنه لا يعتبر آخر مرحلة في وجود الإنسان، بل إن الموت ينقل هذا الإنسان من عالم إلى

(١) سورة الجمعة الآية:٨. (٢) سورة النساء الآية:٧٨. (٣) سورة الزمر الآية:٣٠.

آخر. فكما كان الإنسان في صلب أبيه ثم صار جنيناً في بطن أمّه، ثم تدرّج في هذه الحياة من الطفولة حتى توافيه منيّتهُ، فإذا جاء الموت نقله إلى عالم البرزخ ثم الانتقال إلى عالم الآخرة.

إذاً، الموت يمكن أن يوظّف توظيفاً تربوياً هادفاً، فحينما يذكر الإنسان المسلم الموت، فإن هذا الأمر يدفعه إلى مزيد من القيام بالأعمال الصالحة، وترك المنكرات والإعانة على الخير ونصر المظلوم، وقول كلمة الحق.. والتخلق بالأخلاق الحميدة، وما إلى ذلك من المواقف النبيلة المسؤولة.

لأن الإسلام علمنا أن ذكر الموت يعني مزيداً من العمل والاستعداد لما بعد الموت، لأن هناك اتجاهات متباينة في هذه القضية: فبعض الناس يرى أن الحياة لما كانت تنتهي بالموت، فلماذا نعمل ولماذا نكد ولماذا ننتج. فهم يقولون علينا أن نعتزل الحياة، ونترك المجتمع ونبقى في انتظار الموت. وهذا موقف رفضه الإسلام وشجبه، إذ لا رهبانية في الإسلام، بل إن الإنسان مخلوق مسؤول: ﴿**وقفوهم إنهم مسؤولون**﴾[1].

في حين أن هناك اتجاهاً مغايراً لهذا التصوّر كلياً، فهم يقولون ما دامت الحياة تنتهي بالموت، إذاً فلنسرع إلى الملذات والمتع والشهوات ونرتوي منها قبل أن يأتي الموت، فهم يدعون إلى مزيد من الانغماس في المجون والانحراف واللامسؤولية.

وكلا هذين الاتجاهين مجانب للصواب، ومخالف للحق.

أما الاتجاه الثالث، فهو الاتجاه الذي يقول: إن الموت لمّا كان أمراً محتماً لا بدّ منه، فعلى الإنسان أن يستعد للقاء ربه بأفضل الأعمال، أن يكون إنساناً مسؤولاً.

فلا الذي يترك الدنيا ويبقى ينتظر متى يأتيه الموت، يتخذ الموقف الصحيح،

(١) سورة الصافات: الآية ٢٤.

ولا الذي ينغمس في المحرمات قبل أن تخطفه يد المنيّة مصيب كذلك.

وإسلامنا هو الدين الذي دعا الإنسان إلى أن يكون مراعياً لمفاهيمه التي تدعو ليكون إنساناً مسؤولاً عاملاً بالصالحات، لا يترك الدنيا ويهرب منها، كما لا ينغمس في الملذات بعيداً عن مسؤولياته.

بل إن الإسلام اعتبر أن بعض الأعمال تبقى من مصادر الحسنات للعامل بها حتى بعد وفاته، كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث، علمٍ ينتفع به، ولدٍ صالح يدعو له، وصدقةٍ جارية**»[1].

فما بالك بمن يجد الموت طريقاً مضموناً إلى رضوان الله تعالى، حينما يجعل حياته ومواقفه في طاعة الله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؟. وأفضل هؤلاء هم الشهداء الذين يرون في الموت في سبيل الله أقصر الطرق وأضمنها إلى رضوان الله تعالى ثم جنته.

وفي زمن الإمام الحسين عليه السلام، وقف أصحاب الاتجاهين الأول والثاني ضد نهضته ولم يشاركوا في نصرته، إن لم يكونوا قد أسهموا في مواجهته ومحاربته وقتاله، بل وقتله عليه السلام مع أصحابه وأهل بيته.

فقد كان لمدعي الزهد آنذاك موقف سلبي من الحسين ونهضته، ولسان حالهم ما قاله أحدهم من أنه سيغلق باب بيته عليه، فإذا بايع الناس يزيد يبايع هو أيضاً.

كما كان لأصحاب الشهوات والمنحرفين مواقف سلبية في التحشيد لحرب الحسين والخروج لقتاله، حتى اعتبروا الخروج لحربه عليه السلام مورداً من موارد كسب الغنائم حينما نهبوا رحل أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وسلبوا بناته.

وكان سلاح الأمويين لأصحاب هذين الاتجاهين الخاطئين، ومعهما عموم

(١) شرح أصول الكافي، ج٦، ص:٧٣١.

الساكتين هو التخويف من الموت ومواجهة الظلم والطغيان.

فهنا لا بدّ من كسر هذا الحاجز، وإيقاظ الأمة وتوعيتها، بل ودعوتها إلى أن تختار الموت طواعية إذا كان لا بد منه لمواجهة الانحراف.

ومن هنا، ندرك السرّ في تأكيد الإمام الحسين عليه السلام وفي عدة مناسبات أن نهضته ستنتهي بالشهادة. ففي ذلك إعادة تربية الأمة على المفاهيم الإسلامية الحقّة، ومحاولات مستمرة لكي تنهض الأمة بمسؤولياتها، وسعي حثيث لإفشال المنهج الجاهلي في تخويف الناس من الموت، فيرضون أن يعيشوا أذلاء.

من تلك المناسبات:

١ ـ هذه الخطبة بمكة في أولى خطوات الحركة باتجاه كربلاء.

٢ ـ لما خرج من مكة، بعث كتاباً إلى من بقي بالمدينة من بني هاشم: **أما بعد، فإن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح**»[1].

٣ ـ وفي عدة مواطن في المنازل باتجاه كربلاء ابتداءً من تصديقه عليه السلام لقول الفرزدق: إن القوم قلوبهم معكم وسيوفهم عليكم... إلى أن بلغ أطراف كربلاء ومقالته لابنه الأكبر عليه السلام أن هاتفاً يقول: **إن القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم.**

٤ ـ لما وصل عليه السلام إلى كربلاء، جمع أهل بيته وأنصاره وخطبهم قائلاً: «**إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برَما**»[2] واستمرت تلك المواقف حتى ليلة عاشوراء.

وفي يوم عاشوراء كذلك، فقد ذكر الحسين عليه السلام الموت في أكثر من مرة آخرها أرجوزته التي نزل بها للميدان:

الموت أولى من ركوب العار

والعار أولى من دخول النار

(١) كامل الزيارات، ص:١٥٧.

(٢) ميزان الحكمة، ج٢، ٢١١٥.

إذا، كان الحسين عليه السلام هادفاً في كل تلك المواقف، ليحبط جهود الأمويين الذين سعوا لتربية الأمة أن تخاف الموت فتترك مهماتها الرسالية ومسؤولياتها الشرعيّة.

ولعل سرعة الإجهاز على الحسين عليه السلام وأنصاره تُعطي أبعاد بعض الهلع الذي أصاب الجهاز الأموي الحاكم، الذي اكتشف أن فئة قليلة من الأمة أفلتت من برنامجها التخديري المثبّط وجاءت تنصر الحسين بكربلاء.

نعم، قالها الحسين عليه السلام وهو يوجه خطابه لما عقد العزم على أن يمضي معه نحو أسطورة الشهادة الخالدة نحو كربلاء، وكذلك لمن كان حاضراً بمكة ممن لم يوفق لذلك.

ولم تكتفِ خطبة الحسين هذه، بل كل خطبه عليه السلام ومواقفه بمخاطبة من كان يستمع إليها، بل تعدّت القرون، لتخاطب الأجيال ولتبني المواقف، وتنتج مؤمنين صادقين لا يهابون الموت، بل يسرعون إلى ملاقاته ليحى دينهم، وتسعد أمتهم، ويهزم أعداؤهم. ومن أولئك، كان شبان المقاومة الإسلامية الأشاوس الذين وعوا هذا الدرس من الإمام الحسين الحسين عليه السلام، في أن لا يتحول الموت إلى مخيف للأمة، بل يكون قنطرة يعبر منها المخلصون إلى جنان الله تعالى وحسن ثناء التاريخ وإيقاظ الأمة.

نعم، قرر الحسين عليه السلام ترك مكة، وكان وقع قرار الحسين عليه السلام بالخروج من مكة إلى العراق شديداً على محبيّه، لا سيما من أهل بيته وبني هاشم، مثل عبد الله بن جعفر وعبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية أخي الإمام الحسين عليه السلام:

وقد انجلى عن مكة وهو ابنها

وبه تشرّفت الحطيمُ وزمزمُ

لقد حاول ابن الحنفية أن يقنع أخاهُ الحسين عليه السلام بالبقاء بمكة المكرّمة، وألا يلحق بالأماكن النائية في الصحاري وشعب الجبال، وأن ينتقل من بلد إلى آخر، كما اقترح عليه أن يذهب إلى اليمن.

فلما رأى الحسين عليه السلام شدة حرص أخيه عليه، أراد أن يهديء روعه فقال له: «**أنظر فيما قلت**». كان ذلك في آخر ليلة للحسين عليه السلام بمكة، وفي سحر تلك الليلة تهيأ الحسين عليه السلام وركبه لمغادرة البيت الحرام. فلما سمع ابن الحنفيّة، جاء مسرعاً وأخذ بزمام دابّة أخيه الحسين عليه السلام وهو يقول: «يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟».

فقال الحسين عليه السلام : «**بلى... ولكن أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، وقال لي: يا حسين اخرج، فإن الله شاء أن يراك قتيلاً**».

فبكى ابن الحنفية ثم قال للحسين عليه السلام : ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ فما معنى حمل هؤلاء النساء والأطفال، وأنت على مثل هذا الحال؟ فأجابه عليه السلام : «**شاء الله أن يراهن سبايا**»[1]!! فغرق ابن الحنفية بدموعه.

أأخي إن الله شاء بأن يرى
جسمي على حَرّ الصعيد خضيبا
ويرى النساء على النياق حواسرا
أسرى وزين العابدين غريبا
اكفف فقد خط القضاء بأنني
أُمسي بساحةَ كربلاء سليبا

(فائزي): **لاوين قاصد بالسفر يا ابن الأماجيد**
اقضَيه الجحد يا حبيبي وعيَد العيد

(١) بحار الأنوار،ج٤٤،ص: ٣٦٤.

قـلّـه ودمـع الـعين فـوق الخدّ تـبـديـد

حـجّـي وسـعـي في طـفـوف الـغـاضـريـه

حجّي مهو بذي الحج حجّي يوم عاشور

صدري الكعبه والحجر نحري المنحور

وحِجر النبي اسماعيل الاكبر بدر البدور

أمـا طـوافي حـول اخـيـام خـلـيّـه

ورجع ابن الحنفية إلى المدينة كسير الجناح والقلب دامع العينين، حتى جرى ما جرى على الحسين عليه السلام وعياله من قتل وسبي ودخل بشر بن حذلم ينعاه في المدينة:

يـا أهـل يثرب لا مُـقـام لـكـم بـهـا

قُـتـل الحسين فـأدمـعـي مـدرارُ

الجسـم مـنـه بـكـربـلاء مخضبٌ

والـرأس مـنـهُ عـلـى الـقـنـاةِ يُـدار

فضجّت المدينة بأهلها، وكان يوماً شبيهاً بيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما سمع ابن الحنفية الضجّة وكثرة النحيب والبكاء، سأل عن ذلك، فما أراد أهله إخباره بالخبر المؤلم خشية عليه، لأنه كان مريضاً، فأخبروه بأن نعي مسلم بن عقيل (رض) قد وصل. فلما سأل عن أخيه الحسين عليه السلام، قيل له إنه خيّم بأطراف المدينة ينتظر قدومه عليه... فقال: لمَ لمْ يأت إليّ وأنا مريض، لكن سعياً على الرأس لا سعياً على القدم...

فلما جيء له بفرس يركبها، سقط من الثانية، سقط من الثالثة، وقع على وجهه، فقال: ويحكم إن فيها مصائب آل يعقوب...

فلما بلغوا به أطراف المدينة ورأى كآبة المنظر، أحس قلبه بالفاجعة فصرخ:

لقد فعلتها ـ والله ـ بنو أمية، واأخاه، واحسيناه، ثم سقط مغشياً، عليه فأسرع الناس إلى الإمام زين العابدين عليه السلام الذي جاء إلى عمه ورفع رأسه إلى حجره، فلما فتح ابن الحنفية عينيه، صرخ: ولدي علي، أين أبوك الحسين؟ فقال الإمام عليه السلام: عظّم الله لك الأجر بأبي عبد الله!

اجيتك يا عمي يتيم

ما في معي غير الحريم

والله بمصابي عليم

وعباس راسه هشيم

هذا لقاء أول. ولقاء آخر كان لابن الحنفية مع أخته زينب عليها السلام التي غيرتها آلام المصائب ومحن السبا، وفراق الإخوة والأحبة، حتى سأل عنها بعد أن تغيرت ملامح وجهها...

(نعي): أنه زينب اليحكون عني

سليت المصايب ما سلني

نزلن على عيوني وعمني

ومخدرتكم خويه مَنّي

(أبو ذيّة): قتلني الحزن يمحمد والخواي

الألم يسعر بدلّالي والأخواي

اجيتك لا ولد عندي ولا اخوان

عفتهم جثث بأرض الغاضريه

(تخميس): ألا يا كرام الحي غبتم جمعيكم

وخلفتموا بالطف تنعى نساؤكم

ثــواكــلٌ بين الــقــوم تــدعــو وراءكــم

أحــبــاي لــو غير الحِمــام أصــابــكــم

عتبت ولكن ما على الموت معتب

(التخلّص): قوّضي يا خيام عَليا نِزارٍ

فــلــقــد قــوّض الــعــمــادُ الــرفــيــعُ

وامــلــئــي الــعينَ يــا أمــيــةُ نــومــاً

فــحسين عــلــى الصــعــيــد صــريــع

مجلس الليلة الرابعة

وصول الحسين عليه السلام إلى كربلاء

الجانب الأخلاقي في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

القصيدة

القريض

تجاوبن بالأرنان والزفراتِ
نوائحُ عُجمُ اللفظِ والنطقاتِ
يُخبرْن بالأنفاس عن سرّ أنفسٍ
أسارى هوىً ماضٍ وآخر آتِ
بكيتُ لرسمِ الدار من عرفاتِ
واجريتُ دمع العينِ في الوجناتِ
وحلّ عُرى صبري وهاج صبابتي
رسومُ ديارٍ أقفرتْ وَعِراتِ
مدارسُ آيات خلت من تلاوةٍ
ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصاتِ
لآل رسولِ الله بالخيفِ من منىً
وبالركن والتعريفِ والجمراتِ
ديار علي والحسين وجعفرٍ
وحمزةَ والسّجاد ذي الثفناتِ
ديار عفاها جور كل منابذٍ
ولم تُعف للأيامِ والسنواتِ
قِفا نسأل الدار التي خفَّ أهلها
متى عهدها بالصوم والصلواتِ
وأين الأولى شطّت بهم غربةُ النوى
أفانين في الأقطار مفترقاتِ

قبور بجنب النهر من أرض كربلا

معرَّسهم فيها بشطّ فراتِ

توفوا عطاشى بالفرات فليتني

توفيت فيهم قبل حين وفاتي(*)

(نصاري) جينا ننشد كربلا مضيعينه

بيها زينب قالوا اميسرينه

يسَروهه ولالهه واحد فزع

بليل حادي ظعونه شال وقطع

جينا ننشد وين أبو فاضل وقع

ما تدلونه الشريعة وينهه

جينا ننشد كربلا اعليها انعتب

نقول هاي رجـ ل واتدوّر الغلب

حرمه زينب بيش مطلوبه بذنب

فوق قتل حسين وميسرينه

ارد انشدك جاوبيني بالصحـبح

وين وقفت زينب وقامت تصيح

عدل خويه حسين والا انت جريح

(تخميس): حق لعيني أن تسيل وتهملا

دمعاً تفيض به نواحي كربلا

أفهل من الانصاف مني والولا

تبتلّ منكم كربلا بدمٍ ولا

تبتّل مني بالدموعِ الجارية

(*) للشاعر دعبل الخزاعي،الرياض، الدر النضير، ص.

الموضوع

من خطبة للإمام الحسين عليه السلام:

«**ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وكثرة العدو وخذلان الناصر. فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ، أصبر حتى يحكم الله، والله خير الحاكمين**»[1].

تعتبر المسألة الأخلاقية من المسائل بالغة الأهمية في مفاهيم وقيم وأحكام هذا الدين الحنيف. حيث يدخل العامل الأخلاقي في كل مرفق من مرافق الحياة التي يدعو لها الإسلام ويحث على رعايتها والاهتام بها، سواءً في القضايا الخاصّة بالإنسان؛ مثل علاقته بنفسه وبأُسرته من زوجة وأبناء، أو في الدائرة الاجتماعية الأوسع، مثل علاقته بأرحامه وجيرانه، أو ضمن المجتمع الكبير الذي يبني فيه الإنسان المسلم علاقاته المختلفة مع المسلمين وغير المسلمين، في جوانب الحياة المختلفة؛ اجتماعية، اقتصادية، علمية... .

فإن رعاية الجانب الأخلاقي في الأمور الإجتماعية أمرٌ واضح التأثير كبير الفائدة عظيم النتائج، وما أحوجنا أن نعيش تعليمات ديننا العظيم في حسن التعامل مع الآخرين وطيب المعاشرة، حتى أن الإمام زين العابدين عليه السلام خصصّ دعاءً كبيراً؛ ضمَّنه مفاهيم رائعة وقيماً رفيعة وأفكاراً سامية في عالم الأخلاق الاجتماعية عرف بدعاء (مكارم الأخلاق)، ما أحوجنا أن نعيش بعض روائعه، مثل قوله عليه السلام: «**اللهم صل على محمد وآله وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبرّ، وأُثيبَ من حرمني بالبذل، وأُكافىء من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة...**»[2]. ولهذا لا ينبغي على بيت مسلم أن يخلو من نسخة

(١) اللهوف، ص ٥٨.

(٢) الصحيفة السجادية، ص:١١١-١١٢

من الصحيفة السجاديّة ذات المفاهيم التربوية والأخلاقية الرائعة.

والأخلاق لا تقتصر على الجانب الاجتماعي في العلاقات الإنسانية، لأن للجانب الاقتصادي مسيس حاجة إلى المفاهيم الأخلاقية الراقية. إن ابتعاد الإنسان عن قيمهِ وأخلاقيه في ممارساته الاقتصادية ونشاطاته المالية يحولّه إلى وحش بعين واحدة هي المادة، حيث ينسى الروح والأخلاق.

إن مما يميّز الاقتصاد الإسلامي أنه اقتصاد ذو جانب أخلاقي ينمّي في الإنسان المسلم قيم الخير والأخلاق فيبرمج له علاقاته وسلوكه الأخلاقي؛ حيث يجيز له معاملات ويحرّم عليه أخرى ويحثه على سمو في التعامل ويدعوه إلى الترفع عن نمط آخر.

عن النبي ﷺ: «**لا تزول قدما امرئ يوم القيامة حتى يُسأل عن... وعن ماله مما اكتسبه، وفيم أنفقه**»[1]. فيسأل الإنسان عن مصادر ماله، كيف اكتسبه؟، وعن قنوات صرفه لأمواله في أي ناحية وأي نشاط وأي سلوك؟.

ولقد كان لتمسّك التجار المسلمين بقيم الإسلام في التعامل الأخلاقي الأثر الأكبر في دخول أمم واسعة في دين الله أفواجاً.

فقد كان التجّار المسلمون وهم ينطلقون من البصرة ومسقط وحضرموت وغيرها من موانئ البلاد الإسلامية نحو الشرق الأقصى نحو ما يعرف اليوم بجنوب شرق آسيا؛ مثل أندونيسيا والفلبين وماليزيا وغيرها، كانوا يمارسون نشاطهم التجاري في ضوء تعاليم الإسلام العظيم وقيمه الأخلاقية في الصدق وعدم الغش والنصح واعتدال الأرباح وعدم الإجحاف والسهولة في التعامل، حتى شغُف بهم أهل تلك الأصقاع، فدخلوا مسلمين طائعين بفضل تعاليم الدين الحنيف التي كان يرعاها التاجر المسلم، وما أحوجنا وأحوج أسواقنا

(١) شرح الكافي، ج٣، ص١٣٧.

وتجارنا إلى رعاية مفاهيم الدين في تعاملنا وأسواقنا وتجارتنا!؟.

وتمتد تأثيرات مفاهيم الأخلاق الإسلامية حتى إلى النشاط العلمي للإنسان، لأن العلم بحدّ ذاته طاقة، لا يمكن أن توصف بالخير أو الشر، إلاّ بعد توظيفها؛ فإذا وظّفت في مجالات خير الإنسان وسعادته وتربيته، كانت خيراً وكان العلم نافعاً، وأما إذا استغلت العلم وطاقاته أيدٍ غير أمينة، ونفوس غير نظيفة وأفكار غير مستقيمة، فقد يتحوّل العلم إلى كارثة حقيقية.

إن أول ما يخترعه الإنسان الغربي المعاصر من تقنيات علمية، يستغله في الحروب والدمار قبل أن يوظفه في رفع معاناة الإنسانية. إن ما يُصرف على الحروب وآلة الحرب يكفي للقضاء على الجوع والجهل والمرض واسعاد الإنسان وإزاحة الآلام عنه.

إن الإسلام اعتبر العلم نعمة يحاسب عليها، وعليه زكاة كزكاة المال، وزكاته حسن التعامل وحسن التوظيف وحسن النتائج الخيّرة التي تتمخض عنه.

إن الإسلام لم ينسَ قيم الأخلاق حتى في الحروب مع أعداء الدين منذ تعليمات النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وقادة المسلمين للجيوش الإسلامية، في ضرورة مراعاة قيم الإسلام وأخلاق الدين حتى مع أعداء الإسلام ومناوئي الدين! أرأيت إنصافاً كهذا الانصاف؟ أم قيماً أرفع من هذه القيم؟ أم سلوكاً أسمى من هذا السلوك؟ «لا تقطعوا شجرة، لا تتبعوا مدبراً، لا تجهزوا على جريح، لا تهيجوا النساء، لا تقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً ولا مسالماً، لا تستولوا على ممتلكات المسالمين، إحفظوا الذمار، لا تشربوا ماءً إلا برضى أهله»!!

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وآله في تعامله مع أعدائه، حيث نادى يوم فتح مكة: **إذهبوا فأنتم الطلقاء!**

وهكذا كان سلوك أمير المؤمنين عليه السلام في معاركه ومنها في صفين، حيث منعه معاوية من ماء الفرات، ولما استعاد علي عليه السلام وجيشه السيطرة عليه، قال بعضهم نمنعهم من الماء كما منعونا، فقال لهم علي عليه السلام: **لا، ولكن خذوا من الماء كفايتكم وانصرفوا فقد نصركم الله عليهم ببغيهم...**

وهكذا كانت أيضاً أخلاقيات الحسين عليه السلام في نهضته الخالدة.

إن الجانب الأخلاقي جانب مشرق ورائع من جوانب النهضة الحسينية. وإذا حاولنا أن نتلمس بعض مصاديق هذا الجانب، فيمكن أن نلاحظ ما يلي:

١ ـ عدم استغلال الحسين عليه السلام موقعه الديني المميز، فهو سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن علي وفاطمة عليهما السلام ومن نزلت فيه ما نزل من آيات القرآن الكريم، وجاء فيه ما جاء من أحاديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. ومع ذلك، فإن الحسين عليه السلام لم يجبر أحداً على اللحوق به، ولم يصدر فتوى أو حكماً شرعياً يكفّر فيه من لم يلتحق به، بل كان يدعو إلى نصرته ضمن مفاهيم الدين وحجة الحق ودليل القرآن والسنة. فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق. ومن ردّ علي، أصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين».

٢ ـ عدم تضييعه لحق أحد، واهتمامه بحقوق الآخرين، فقد سيطر عليه السلام حينما خرج من مكة على قافلة من الأموال والهدايا بعث بها والي الأمويين باليمن إلى يزيد بالشام، إذ أراد الحسين عليه السلام أن يسقط الشرعية وأن يمنع وصول هذه الأموال التي سوف توظّف لشراء الذمم، والتنكيل بالصالحين المخلصين، والمزيد من الإفساد في المجتمع.

لكنه عليه السلام مع ذلك لم ينس الذين كانوا مع تلك القافلة ممن كان جمالهم قد استؤجرت إلى الشام، فأعطى أصحابها أجورهم، وخيّرهم بين الرجوع إلى اليمن أو مرافقته، ويذكر بعض أرباب المقاتل أن شخصاً واحداً

من هؤلاء أدركته الرحمة وبقي مع الحسين حتى كان من الشهداء بين يديه.

٣ ـ حرصه على هداية الآخرين، والسعي المستمر لتوضيح الحقائق وكشف الأمور وبيان الوقائع، ﴿**ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة**﴾. ومن هنا كانت خطاباته عليه السلام يوم عاشوراء، ثم إذنه عليه السلام لمن أراد أن يخطب من أصحابه، مثل زهير بن القين وبرير بن خضير (رض). والحسين عليه السلام لم يكن ينتظر من أولئك شيئاً إلاّ الرغبة في إنقاذهم من ضلالهم. فكان ينادي «**إنسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟**»[1].

٤ ـ كراهيته عليه السلام أن يبدأ القوم بقتال. حيث حرص عليه السلام على مفاهيم الإسلام وقيمه في الحروب، وحتى حينما تمادى الشمر في صبيحة يوم عاشوراء بكلامه للحسين عليه السلام: «تعجلّت بالنار قبل يوم القيامة»، فأراد أحد أصحاب الحسين وهو برير (رض) أن يرميه بسهم، منعه الحسين عليه السلام من ذلك وقال: «**إني أكره أن أبدأهم بقتال**»[2]، بل كان الذين يخرجون للخطابة يتراجعون إلى ورائهم إذا رموا بالسهام، اتباعاً لتعليمات الإمام الحسين عليه السلام قبل نشوب المعركة.

٥ ـ حرص الإمام الحسين عليه السلام على الوفاء بالعهد وكان ذلك له في أشد الظروف قساوة، وأكثرها إيلاماً ومحنة.

فقد التقى الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء برجل اسمه الضحّاك بن عبد الله المشرقي، فدعاه إلى نصرته، فاستجاب هذا الرجل ولكنه علّق استجابته على شرط وهو أن ينصر الحسين عليه السلام ما دام له ناصر فإذا نفد أنصاره ولم يكن هناك فائدة من نصرته انسحب من ذلك! فوافقه الإمام

(١) معالم المدرستين، ج٣، ص ٣١٢.
(٢) مستدرك الوسائل، ج١١، ص ٨٠.

الحسين عليه السلام على شرطه هذا.

وهو شرط غريب، إذ كيف يمكن لإنسان حظي بشرف الدفاع عن الحسين عليه السلام وعن أهل بيت النبوة عليهم السلام، أن يتركهم في ساعة هم أحوج فيها إلى أي ناصر كان أو معين؟ ولكنها النفوس وحظوظها وتوفيقها!

ولما كان يوم عاشوراء واحتدم القتال حتى استشهد من أنصار الحسين عليه السلام من استشهد، جاء هذا الرجل ليذكّر الحسين عليه السلام بشرطه وأنه يريد أن ينسحب من المعركة، فقال له عليه السلام: **نعم، أنجُ بنفسك إن استطعت! ولكن كيف يكون لك ذلك؟**؛ وكان هذا الرجل قد خبأ فرساً له تحت خيمة انتظاراً لساعة الهرب هذه. ومع غرابة هذا الموقف واستهجانه، فإن الحسين عليه السلام بقي محافظاً على الوفاء بما قطعه على نفسه رغم الظرف القاسي والزمن العصيب.

٦ ـ ثم انظر إلى أخلاق الإمام الحسين عليه السلام التي هي أخلاق القرآن الكريم وأخلاق النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، أخلاق الإسلام وقيم السماء. أنظر إلى الإمام الحسين عليه السلام كيف كان سلوكه مع الذين خرجوا لحربه؟ فقد ذكر بعض أرباب المقاتل أن دمعة من عين الحسين عليه السلام ندّت يوم عاشوراء، فلما سُئل عن ذلك قال: **أبكي على هؤلاء القوم لأنهم سيدخلون النار بقتالهم لي، وهم من أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم!**

ثم موقف آخر للحسين عليه السلام مع أول كتيبة من الجيش الأموي خرجت لحربه وكانت بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحي (رض)، وكان الحسين عليه السلام وركبه في طريقهم إلى كربلاء، فصرخ أحد أصحابه: لقد وصلنا الفرات يا ابن رسول الله! فها هو خط أسود يلوح بالأفق، أي هي بساتين النخيل النابتة على ضفاف نهر الفرات التي تتراءى للبعيد بلون أسود من شدة خضرتها.

ولكن الواقع أن ذلك السواد كان جيشاً قادماً، ألف رجل كاد العطش أن يقتلهم، وهم ينادون: الماء الماء، العطش العطش يا ابن رسول الله!!

فما كان من الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله رحمة للعالمين، إلاّ أن قال لأصحابه: أسقوهم الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً، فسقى ألف رجل وألف دابة لهم، وكان آخر من جاء ذلك الجيش رجل اسمه علي بن الطعان المحاربي، فلما رأه الحسين عليه السلام رقّ له وقال: أنخ الراوية (أي الجمل) فلم يعرف ما يقول الحسين عليه السلام، فقال: أنخ الجمل، فلما أناخه أعطاه الحسين عليه السلام سقاء الماء، ولكن شدة عطشه جعلت الماء يتساقط من جوانب فوهة السقاء فقال له الحسين : يا ابن أخي، إخنث السقاء (أي ضيّق الفوهة) فلم يفهم مراد الحسين، فجاءه الحسين عليه السلام وسقاه الماء بيده!

عجباً لهذا الخلق هلاّ أقبلوا
كلٌّ إليك بروحه لك فادي
لكنهم ما وازنوك نفاسة
أنّى يقاس الذّر بالأطواد

ومع كل هذا التعامل الأخلاقي الرفيع، فقد منع الحر وجيشه هذا ركب الحسين من دخول الكوفة أو الرجوع إلى المدينة حتى وصلوا إلى كربلاء، إلى أرض الشهادة والخلود إلى الطف، كان الحسين عليه السلام قد سمع باسمهما من جدّه وأبيه وأخيه عليهم السلام

لله كم قطعوا هنالك مهمهماً
تكبد القلوبُ له من الإعياءِ
حتى أتوا أرض الطفوف بكربلا
أرض الكروب وأرض كلّ بلاءِ

ويـــلاه إذ وقـــف الجواد ولم يـــر

فـغـدا يـقـول لصـحـبـه الخلصـاءِ

يـا قـوم مـا اسـم الأرض قـالـوا نـينـوى

قـال أوضـحـوا عـنـهـا بـغير خـفـاءِ

قـالـوا تسـمـى كـربـلا فـتـنفَس الصُعدا

وقـــال هـــنـــا حـــلـــول بـــلائـــي

حـطّـوا الـرحـال فـذا محط رحـالـنـا

وهـــنـــا تـكـون مصـــارع الشـــهـــداءِ

حـطّـوا الـرحـال فـذا مـنـاخُ ركـابـنـا

وبـــهـــذه والـــلـــه ســـبـــيُ نســـائـــي

فقال الحسين عليه السلام: هي أرض كرب وبلا، ثم دمعت عيناه، وقال: بهذا حدّثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[1]

(بحراني): انشان هاذي كربلا بشروا بلايه

نـزلـوا تـره لاحت عـلامـات المنـايـه

لازم بـجـانب هـالـنـهـر نـقـضـي ضـمـايه

طير المنيّه أسـمـع عـلى راسـي نـعـيـبـه

كـم شاب مـا يـهـنـه بشبابه يظلّ معفور

اجسـادتـه تـبـقـه رمـيّه مـالـهـم قـبـور

هـذه مصـارعـنـه ووعـدنـا يـوم عـاشـور

قـولـوا لـزيـنب تسـتـعـد إلـهـا لمصـيـبـه

تـــالـــلـــه لا أنســـى وإن نســـي الـــورى

بـــالـــطـــف وقـــفـــة مـــهـــره المتســـرّعِ

(١) الأحاد والمثاني،ج١،ص:٣٠٧.

أجـواده هـل قـيـدتك يـدُ الـردى

حـتـى وقـفت بـه وقـوف تمنّـعِ

هـلا تـنـكـبّت الـطـريـق وحـدت عـن

ذاك المضـيـق إلى الـفـضـاء الأوسـعِ

نـزل وبـكـربـلا خـيـامـه نصـبـهـا

ولـعـد الموت رايـاتـه نصـبـهـا

عـلـيـه امـقـدّر مـن الـلـه نصـبـهـا

مصـارعـهـم بـهـل التربـة الـزكـيـة

ثم إن الحسين عليه السلام جمع إخوته وأبناء عمومه وأهل بيته ونظر إليهم وبكى وقال: «**اللهم إنّا أهل عترة نبيك محمد، قد أخرجنا وطُردنا وأزعجنا عن حرم جدّنا وتعدت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين**» ثم أقبل عليه السلام على أصحابه وقال:

«**الناس عبيد الدنيا والدين لَعْقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محصّوا بالبلاء قل الديانون**»[1].

هذا وزينب عليها السلام تسمع مقالة أخيها الحسين عليه السلام وقد نزلت بأرض لا ماء فيها ولا وطاء، ولكن كانت راية أخيها أبي الفضل العباس عليه السلام تطمئن قلبها وتسكن لوعتها وتخفف وجدها.

هذا يوم نزلت فيه زينب عليها السلام وأخوات زينب بكربلاء، في عزة ومنعة معها أخوتها وعشيرتها وأهل بيتها.

لكن، في أي حال خرجت بها زينب عليها السلام عن كربلاء يوم الحادي عشر من المحرم؟ الأخوة على الأرض جثث بلا رؤوس، الخيام محترقة، الأطفال يتامى

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص:٣٨٣.

مرّوعون، النساء ثكالى مدهوشات حائرات.

فأخذت تنادي أخاها حتى أبكت كل عدو وصديق.

يا حسيناه يا ابن مكة ومنى، يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، وإلى الله المشتكى وإلى محمد المصطفى وإلى علي المرتضى.

(نعي نصاري): **كنت يوم الذي ما شوف ملقاك**

تـظـل روحـي حـزيـنـه لَمن ألـقـاك

مـدري شـلـون هـذا الـيـوم فـرقـاك

تـظـلّ بـكـربـلا واحـنـا مـرحـلين

هـمّـت لـتـقضـي مـن تـوديـعـه وطـراً

وقـد أبـى سـوط شـمـر أن تـودّعـه

فـغـاب عـنـهـا ولـكـن رأسـه مـعـهـا

وفـارقـتـه ولـكـن قـلـبـهـا مـعـه

أحـمـى الضـائـعـات بـعـدك ضـعـنـا

بـيـد الـنـائـبـات حسـرى بـوادي

مجلس الليلة الخامسة

شهادة مسلم بن عقيل (رض)

ثورة الإمام الحسين عليه السلام والتغير في الأمة

القصيدة

القريض

إن رمتَ خيرَ حمىً وخيرَ مقيلِ
فاعقِل بمثوى مسلمِ بنِ عقيلِ
مثوىً تعالى الله أعلى شأنَهُ
من أن يُرامَ موازَناً بعديلِ
مثوىً تضمَّن للشهادةِ سيّداً
فاق الورى بالفضلِ والتفضيلِ
أمجشّماً غسق الدجى زيافةَ
تطوي حزوناً للفلا بسهول
يمم بها البطحاء من وادي منىً
وادعُ الحسين برنةٍ وعويل
وقل: السلام عليك أسلم مسلم
فرداً لطعن قناً وقرع نصول
فردٌ يفرُّ الجمع منه كأنما
تغشى الكريهة منهم بقبيل
أردوه بالبِيضِ الصِّفاحِ وأثخنو
هُ بالجراحِ فخرَّ خيرَ جديل
صعدوا به قصر الإماة نازلاً
للأرض حين رموه أيَّ نزول
سحبوه في الأسواق وهو مرمل
بدم الشهادة أفضل الترميل

فليبكين المسلمون لمسلم

ما كان أمثلهم له بمثيل

قتلوه ظمآناً وقد صنعوا به

ما ليس يصنعُ قاتلٌ بقتيل

(نعي): وين الذي يقصد بها لحسين

لارض الحجاز ويخبر احسين

مسلم وحيد ولالة معين

ودارت عليه القوم صوبين

بكوفان ظلّ يدير بالعين

وين راحوا هله الطيبين

(نصاري): المقدّر جره وشاعت أخباره

رموه القوم من قصر الاماره

هاني انقتل بعده وبقت داره

مظلمه ولا بعد واحد يصلها

مصيبتهم مصيبه اتصدع الأجيال

ومن قبل الشيب اتشيب الأطفال

شفت ميت يجرونه بالحبال

يناعي لا تظن صاير مثلها

(أبو ذيّة): عادة اليستجير ايكون ينجار

وعن قتله حليف الشرف ينجار

مثل مسلم صدق بالحبل ينجار

وتتباشر بقتله جنود أميّه

الموضوع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم...﴾[١].

أحدث الإسلام تغييراً كبيراً وتاريخياً في انطلاقته الأولى، حيث امتدّ هذا التغيير ليتجاوز المسلمين والعرب حتى بلغ شعوب الأرض. وما كان هذا التغيير أن يبلغ هذا المدى، لولا تغيير المسلمين الأوائل لأنفسهم، حيث نزعوا ثياب الجاهلية ومفاهيمها، وانتهجوا الإسلام ومبادئه، فكانوا خير أمة أخرجت للناس **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[٢].

وذكر بعض الباحثين أن اختيار الجزيرة العربية لم يكن صدفة أو اعتباطاً، إذ أن الإنسان العربي قبل الإسلام كان خليَّ الذهن عن الأديان والعقائد والأفكار المعقدة. ولهذا، كان من السهولة أن يتبنى مفاهيم الإسلام، لأنها المفاهيم الأولى بالنسبة إليه. في حين يحتاج غيره إلى عملية مضاعفة في إزالة تأثيرات المعتقد القديم وصياغة مفاهيم الدين الجديد.

ولو تأملنا الآية الكريمة **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**[٣]، أي أن تغيير الأمم والمجتمعات يكون نتيجة لما يحدثه أبناء ذلك المجتمع من تغيير في نفوسهم واختيار في مواقفهم. وهذا أمر كما يجري في التغيير من الحسن إلى السيىء، كذلك يجري في التغيير من السيىء إلى الحسن فالآية مشجعة للتغيير الإيجابي (من السيئ إلى الحسن) ومحذرة من التغيير السلبي (من الحسن إلى السيئ). والأمر يصدق كذلك على الأفراد فرداً فرداً كما يصدق على المجتمعات. فهناك خطوتان: الأولى بيد الإنسان (يغيّر نفسه) والأخرى بيد الله تعالى (يغير ما بقوم).

(١) سورة الرعد الآية: ١١. (٢) سورة آل عمران الآية: ١١٠. (٣) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

والإنسان مخيّر في الخطوة الأولى التي يختارها في أن يسعى حتى يكون مغيّراً نحو الأحسن (تغييراً إيجابياً)، أو مغيّراً نحو الأسوء (تغييراً سلبياً). ولكنه غير مخيّر في الخطوة الثانية، لأنها مترتبة ومبنيّة على الخطوة الأولى، ولأنها خطوة بيد الله، لكن لا فيها، لأنها بدأت من اختيار الإنسان وموقفه الحر.

ومن الملاحظ - من جهة أخرى - أن الإعجاز القرآني لا يشمل الكلمة القرآنية أو الآية التي ترد في قضية أو واقعة أو حكم، لكن الإعجاز القرآني يشمل المفاهيم كذلك.

فإنّ مفهوم التغيير الذي جاءت به هذه الآية الكريمة، مفهوم نجد مصاديقه في كل الآيات القرآنية التي تحدثت عن الأمم وتجاربها مع أنبيائها، فإننا لو تابعنا تلكم الأمم، لوجدنا أن القرآن يشير إشارة واضحة إلى أن التغيير - وأغلبه مع الأسف سلبي بظلم من الناس وتكذيبهم وعنادهم - يبدأ من حيث ينتهي موقف تلك الأمم والأقوام والمجتمعات، ليأتي القرار الإلهي المترتب على أعمالهم ومواقفهم.

ما أروع القراءة الواعية والمتأملة لآيات القرآن الكريم! وكم نستعين بهذه الآيات على اتخاذ الخطوة الصحيحة الأولى التي هي من اختيارنا؟!.

كل ما تحدثنا عنه في الخطوة الأولى لم يهملنا الله تعالى معها، ولم يتركنا مع تخبّطنا، بل أوضح النهج الأقوم، وشجع على الخطوة الأفضل، وكتب لنا بها الحسنة عشراً، وهي في مصلحتنا ولأجلنا **﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾**[1] إذ حذّرنا من الأخطاء ونبهنا على مكائد الشيطان.

ولئن كانت أغلب تجارب الأنبياء السابقين مع أممهم قاسية ومؤلمة حتى

(١) سورة الأعراف الآية: ١٥٧.

انتهت بإنزال العذاب وإحلال الغضب السماوي عليها، فإن تجربة نبينا ﷺ مع أمته كانت تجربة ناجحة تكللت بالنصر على الأعداء، وتمكين الدين من معاقل الشرك، حتى امتد المسلم إلى الجزيرة العربية في عهده ﷺ. ثم امتد شعاع الإسلام في أعماق الأرض وقلوب الشعوب التي كانت تواقة له مندفعة نحوه مسرورة به.

وبعد أن أدى النبي ﷺ مهمته أخلص في أمانته ونصح لأمته، رحل إلى بارئه تعالى وهو يوصي أمته بانتهاج الهدى بعده بقوله ﷺ:

«**إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[1]. وإذا بالخطر يتعاظم على الإسلام يوماً بعد آخر، ومرحلة بعد أخرى، حتى رُشّح الفاسق يزيد بن معاوية ليتولى منصب الخلافة وليرتقي منبر رسول الله، ويصير من ثَمَّ في موقع التوجيه والرعاية لهذه الأمة.

فكيف يمكن تصور هذا التوجيه ونوعيته مع يزيد المشهور بشرابه ولعبه بالقرود والفهود وانغماسه باللذات وابتعاده عن أخلاق القرآن؟.

كيف يمكن أن نتصور مستقبل الأمة الإسلامية، إذا رضيت وخنعت وقبلت بهذا التغيير السيء، بل وبالغ السوء أن النتيجة معروفة وهي ستكون مترتبة على هذه الخطوة، حيث سيغير الله هذه الأمة وسيضيع دورها وتفقد موقعها، لأنها ما وصلت إلى ذلك في بداية أمرها إلا حينما اتخذت مواقف الإيمان والهجرة والجهاد والنصرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكانت خطوة السماء أن جعلها ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾؟.

لا بد للأمة - إذاً - من موقف، وإلا ستضيع كما ضاعت الأمم السالفة وسينتهي دورها أسوة بمن سبقها.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٣، ص:٩٥.

وهنا، لا بد من العمل على تغيير هذا الواقع المنحرف، هذا الواقع الذي صار من بعض إفرازاته انتشار دور الغناء والطرب في مكة والمدينة وانشغال الناس بالترف والأموال الطائلة والوجوه الحسان التي جاءت مع الفتوحات وغنائهما، خاصة بعد وفاة أو استشهاد كبار الصحابة المخلصين، ونشوء جيل جديد من المسلمين لم يعيشوا أجواء الرسالة الأولى.

المسلمون كانوا ينظرون صوب مسلمي مكة والمدينة، بل نحو المدينة بشكل أوضح، إذ فيها كبار المهاجرين والأنصار وأبناؤهم، وفيها كانت الخلافة. أما أهل المدينة ومكة. فكانوا ينظرون أيضاً نحو أهل بيت نبيهم ﷺ ماذا يفعلون؟ وكل هؤلاء وأولئك كانوا ينظرون إلى الإمام الحسين عليه السلام كيف يصنع؟ إن الشخصية الأبرز في المسلمين وهو بقية السيف والشعلة المتبقية من النبوة.

فإن رضي الحسين عليه السلام وبايع يزيداً، انهدم آخر حصن للمسلمين وضاع آخر معقل من معاقلكم. وإن رفض الحسين عليه السلام وأطلق كلمة (لا) في ذلك الجو المخيف من جهة والمغري بالمال والمناصب من جهة أخرى، . إن رفض الحسين.، فمن الرجاء أن تنتبه الأمة وتعود إلى موقعها، وتنفض غبار الجاهلية الأموية عنها، وتوابعها بحق المخلصين والواعين تلك الخطة الجاهلية الأموية.

إذاً، لا بد من تغيير، لا بد من موقف، ولن يكون هذا الموقف مؤثراً إلا إذا اتخذه الحسين عليه السلام ، لأننا لو فرضنا أنّ أحداً آخر غير الحسين عليه السلام اتخذ مثل هذا الموقف، فلن يكون بتأثير موقف الحسين عليه السلام ولا بعمقه ولا بأثره، لما للحسين عليه السلام من موقع لا يضاهيه به أحد آخر في هذه الأمة.

لأن الحسين عليه السلام المغير، يريد أن يغير الانحراف ويواجه الضلال ويقف يوجه الردّة.

وهذا ما قاله الحسين عليه السلام بصراحة (... **وأنا خير من غيّر**)، نعم أنت يا

ابن رسول الله ﷺ أفضل من غير تلك الحقبة التي كانت تطبق على بقية دين جدك لولا رفضك وصرختك ثم دماؤك.

ومن هنا، كما كان الحسين عليه السلام مدركاً لظروف عمله التغييري، ومدركاً أيضاً أنه لن يقف معه إلا القليل من هذه الأمة، لأن الداء استفحل وعليه أن ينهض بالقلة السليمة لعلها تعيد علاج الكثرة المبتلاة.

ولا بد من إحداث تغيير في الأمة وتحريك مواقفها، ولهذا كانت خطوته الأولى في رفض بيعة يزيد، والخطوة الثانية في هجرته من المدينة إلى مكة، والخطوة الثالثة في هذا العمل التغييري بلمائه بالحجاج والمعتمرين وتنبيههم وتوعيتهم إلى الخطر المحدق بهم، ثه الخطوة الرابعة في مراسلة رؤساء أهل البصرة، في خطوة لتوسيع دائرة التغيير، وحدثت الخطوة الخامسة المهمة والتي كانت مقدمة لخطوته الكبرى في وصوله إلى كربلاء ثم شهادته، كانت ارساله ابن عمه مسلم بن عقيل(رض) إلى الكوفة، التفت الناس من حوله وبايع له ثمانية عشر ألفاً، خطوات بالغة الأهمية في عملية التغيير، لأن هناك واقعاً. قد رفض الأمويين بصورة واضحة، فالأمور هادئة في كل البلدان الإسلامية الأخرى، والبلدة الوحيدة التي استجابت واستقبلت رسول الحسين عليه السلام هي الكوفة، رغم النتيجة المؤلمة التي وصلها مسلم بن عقيل(رض) بالكوفة، وهي نتيجة تنتظر كل تحرك يبدو آنذاك في أي رقعة من بلاد المسلمين، فالأمويون في أوج قوتهم والناس في أوج خدرهم وتركهم مسؤولياتهم.

فالأمر المهم هنا أن تكون هناك منطقة رفض للنهج الأموي، حتى لو كانت نتيجتها قاسية، ولكن لا بديل لهذه الخطوة.

والحسين عليه السلام كان يعلم أنه لن يلتحق به إلا المخلصون الواعون، ولن

يصدق معه إلا الذين امتحن الله قلوبهم بالتقوى والوعي، ومع ذلك فإنه لا بد من تشجيع خطوة الكوفة هذه رغم كل المخاطر والتضحيات، لأنها منطقة تحركت ورفضت، وهذا الرفض والتحرك سيوجد أرضية مهمة لنهضة الحسين عليه السلام والتحاق المخلصين به.

وعى مسلم(رض) مهمته وهو يعي موقفه ومسؤوليته، حيث سعى لإحداث أكبر قدر ممكن من التغيير والتجاوب مع أطروحة النهضة الحسينية، ولكن الأمويين تحركوا بسرعة عبر إرسال الطاغية المتفرعن عبيد الله بن زياد الذي كان هو وأبوه سيئ الصيت بظلمهما ودمويتهما خاصة عند الكوفيين، ثم ما أحدثه من إخافة للقاعدة الجماهيرية الواسعة التي تحتضن القلة المخلصة، بات جيش الشام سيصل ويفعل ما يفعل، وبدأ العزف على وتر العلاقات الشخصية فأخذت الزوجة تتوسل بزوجها أن يترك مسلم بن عقيل(رض)، والأب أن يترك ولده مسلماً، والأخ بأن يترك أخوه مسلماً.

إنها أحداث مؤلمة وقاسية ولكنها أيضاً مربية، فنحنُ ـ الحمد لله ـ قد استفدنا من تلك التجارب المؤلمة، فأمهاتنا هن اللواتي يدفعن أولادهن نحو الجهاد والمقاومة، والزوجة هي التي تحض زوجها على مواقف العز والفدا، والأخ يفخر بأخيه المرابط في سبيل الله.

إنّ تأثير التغيير الحسيني تجاوز زمن إقامة مسلم بالكوفة ومكان انسلال الناس عنه وعن نصرته، ليصل هذا التأثير والدروس المستقاة منه إلينا وإلى مساحات واسعة من الأمة عبر الأجيال، إن الحسين ونهضته رافقت سفيره مسلماً ومظلوميته عبر الزمن لإحداث تغيير تجاه كل مواقف الخذلان والهزيمة وترك المسؤولية الشرعية.

ولم يتفاجأ ابن عم الحسين وسفيره بما آل إليه أمر الناس، وخاصة بعد أن

تركه الناس. كما تذكر ذلك كتب المقاتل والسير. ،فأخذ يجول في أزقة الكوفة وشوارعها، حتى انتهت به المقادير إلى دار تلك المرأة الصالحة (طوعة) التي أوته وأحسنت إليه، فجزاها خيراً وأعلمها بأنه سيمضي شهيداً، وأنه يوصيها بركب للسبايا سيدخل الكوفة بعد حين وفي ذلك الركب بنت له يتيمة اسمها (حميدة)، إذ أوصاها بأن تبلغ سلامه إليها...

وبعد أن قاتل مسلم(رض) أعداء الله بشجاعة علوية وإصرار حسيني واستقامة محمدية:

أقسمت لا أقتل إلا حرًا

وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

كل الذي يوماً ولات شراً

رُدَ شعاع الشمس فاستقرا

فقتل مقتلة عظيمة من القوم، ثم أعياه التعب ونزف الدماء حتى تكاثروا وأدخل على الطاغية ابن زياد، الذي بادره بلؤم الغلبة وسوء الطبيعة فواجهه مسلم بكل قوة وشجاعة وثبات، ومسلم بهذا يستمر في إحداث عملية التغيير، صراخ في نفوس أولئك الذين أتوا مع الطاغية إلى قصره، ثم أمر به أن يقتل، فصعد القصر لا يرفع رجلاً ولا يضعها إلا بذكر الله، ثم صلى ركعتين، ثم وجّه وجهه نحو الحجاز وسلم على الحسين عليه السلام، ثم هوى سيف اللعين ابن حمران على عنقه فسقط رأسه للأرض، ثم ألحق به جسده الشريف، ثم قتل هاني بن عروة (رض) بعده.

(نصاري): المقدّر جره وشاعت اخباره

رموه القوم من قصر الاماره

هاني انقتل بعده وبقت داره

مظلمه ولا بعد واحد يصلها

مصيبتهم مصيبه تصدع الأجيال

ومن قبل المشيب تشيب الأطفال

شفت ميّت يجرونه بالحبال

يصاحب لا تظن صاير مثلها

وجاءت طوعة تسأل عن ضيفها وما حلّ به:

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم الضرب رجهه

وآخر يرمى من طمار قتيل

وهي تتذكر وصية مسلم لها:

قلها يطوعه اليوم ما تحصل سلامه

أوصيك كان ابها لبلد دخلوا يتامه

قولي تره مسلم يبلغكم سلامه

واجرك على الله والنبي سيد الوصيين

ونفذت طوعة هذه الأمانة الغالية عليها، حيث راحت تسأل عن طفلة مسلم (حميدة) في خربة وضع فيها ركب السبي بعد واقعة كربلاء حينما دخلوا الكوفة.

فلما دخلت ووقعت عيناها على بنات رسول الله ﷺ، انتحبت باكية: عظم الله لكن الأجر يا بنات رسول الله ﷺ.

ثم سألت عن حميدة وعرفتهن أنها ممن أجار مسلماً، فلما دخلت حميدة بادرت لسؤالها:

(نعي): عمه يطوعة احكيلي حاله

لمن طاح ياهو التدنالـه

غسله وعن القاع شاله

كنت ارتجي عمي ابدالله

يفيّ عليّ وعلى اعياله

أويلاه سهم الموت نالله

وغرقت طوعة بأحزانها ودموعها:

هذه زينب ومن قبل كانت

بِحَر دارها تحطّ الرحال

نعم، هذه زينب عليها السلام مسبية مع بنات المصطفى ورؤوس الأهل والأحبة على رؤوس الرماح.

قوضي يا خيام عليا نزار

فلقد قوّض العمادُ الرفيع

واملئي العين يا أمية نوماً

فحسين على الصعيد صريع

بأبي التي ورثت مصائب أمها

فغدت تقابلها بصبر أبيها

مجلس الليلة السادسة

مواقف الأنصار وشهاداتهم(رض)

الوفاء بالوعد

القصيدة

القريض

صَحِبته من خير الرجالِ عصابةٌ
غرَّ فطاب الصحبُ والمصحوبُ
آساد ملحمةٍ ضراغم غابةٍ
همُ بنازلةِ الوغى ترحيبُ
أبطالُ حربٍ كم بهم قامت على
أهل النفاق وقائعٌ وحروبُ؟
منهم زهيرٌ زاخر الأفعالِ يت
بعه بريرٌ ومسلمٌ وحبيبُ
وأتى المساء وقد تجهم وجههُ
واليوم محتشد البلاء عصيبُ
قال اذهبوا وانجوا ونجَوا أهل بي
تي إني وحديْ أنا المطلوبُ
فأبت نفوسهم الأبية عند ذا
أن يتركوه مع العدا ويئيبوا
ماذا يقول لنا الورى ونقوله
لهم ومن عنّا يجيبُ مجيبُ؟
إنا تركنا شيخنا وإمامنا
بين العدى وحسامُنا مقروبُ؟
فالعيش بعدك قبحَت أيّامُهُ
والموت فيك محبَّب مرغوبُ

باتوا وبات إمامهم ما بينهم
ولهم دويُّ حوله ونحيبُ
وبدا الصباح فاقبلت زمرُ العدى
نحو الحسين لها الضلال حبيب
فتقدم الأنصار للأقران مسـ
ـرعة وللحرب العوان شبوب
يأبون أن يبقوا وآل نبيّهم
كلٌّ على وجه الصعيد تريبُ
فاستقبلوا ضرب السيوف بأوجهٍ
غرّاء عن زُهر النجوم تنوبُ
حتى هووا فوق الصعيد كأنهم
أقمارُ تمٍّ في الدماء رُسُوبُ(*)

(فائزي): خلصتُ أنصاره وظلّ أبو السجّاد محتارْ
جيش تجيل ومنعْ مايْ وقلة أنصارْ
ينادي بقيت وحيد ينصار الحميّه
وامن الضياغم ظلّت اخيامي خليّه
ومن كل جانب حايطتني جنود أميه
والعطش فت الكبد والجوَ اشتعل نار
قلهم بنومتكم تهنّوا يا مطاعين
وبلّغوا سلامي جدّي وخَير الوصيّين
وقولوا بقه مفرود ما بين العدى حسين
حِزتوا الشرف والفوز يا سادة الأحرار

(*) للسيد محسن الأمين العاملي (رحمه الله). الدر النضيد، ص ٥٢.

(أبو ذيّه): تناخت والثلث تنعام منها

تموت وياك كلها فرد منها

اشنقلْ للناس لو هيْ تقول منها

الاجت وحسين تم بالغاضريه

(أبو ذيّه): وحق أنصار أبو السجّاد والحر

إنعرف بالغاضريه العبد والحر

رغم الموت رغم العطش والحر

فدوا أرواحهم لابن الزكيّه

(تخميس): يا من تفانوا إلى جنب الفرات ظما

ورَوّوا البيض في بومه الكفاحِ دما

ومضوا عطاشا ولكن روّوا الخذما

ليسقِ عهدكم صوبُ الغَمام فما

سقاكمم النهر عذب المال ظامينا

الموضوع

قال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾[1] يسعى القرآن الكريم دائماً نحو تربية الإنسان أخلاقياً، وتنمية كوامن الخير والصلاح في نفسه، في حث مستمر وتأكيد دائم على ضرورة أن يولي الإنسان إعداد نفسه وتقويم سلوكه، وتقوية نقاط الاستقامة في سلوكه ومواقفه. حتى جعلت الشريعة المقدسة حسنة واحدة بمجرد أن ينوي الإنسان المسلم عمل خير أو اتخاذ موقف نبيل، فإذا وفق لذلك العمل الصالح واتخذ ذلك الموقف النبيل، تضاعفت لتكون عشر حسنات. بينما تُبقي الشريعةُ المقدسة سيئة واحدة فقط على العمل الطالح.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

لقد أودع الله تعالى قيم الخير والاستقامة والصلاح في النفس البشرية، ثم أنزل تعالى الكتب وأرسل الأنبياء والرسل، لإعانة الإنسان على الخير والهدى منطلقاً من فطرته السليمة ومستضيئاً بنور السماء وتوجيهات الأنبياء عليهم السلام.

وإن على المهتمين بتربية المجتمع وقيمه وأنماط سلوكه من علماء وأكاديميين ومختصّين، أو المؤثرين في هذه التربية من سياسيين وإعلاميين وحتى الفنانين، عليهم جميعاً مسؤولية كبيرة، في رفد الإنسان المتلقّي بنمط سلوك ونهج خلق وأسلوب تعامل، يجعله إنساناً مسؤولاً تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه، وأن ينأوا عن أي توجيه أو دراسة أو برنامج يحطّم قيم المجتمع ويهشم أركان السلوك القويم، مما يحيل الإنسان المعاصر إلى إنسان أناني جشع انفرادي في طموحاته وأهدافه.

لقد أُجريت دراسات علمية كثيرة على جيل من الشبان المنشدين إلى أجهزة الكومبيوتر أو برنامج الانترنت، فوصفوا بالانعزالية حتى عن أسرهم وأهلهم، حتى بدت حالات التصحّر والتقاطع في داخل الأسرة الواحدة.

لقد جاءت الأديان السماوية بقيم ترفع من شأن الإنسان وتقوي فيه عوامل حب الغير والاحساس بمسؤولية تجاه أهله ومجتمعه. وإن علينا أن نسعى دائماً لكي تتواصل عملية البناء الأخلاقي الهادف وتستمر أساليب التغيير الإيماني الرصين، مع الأخذ بالتطوّر العلمي والتقني ومسايرة ركب الإنجازات العلمية، لأن تحذيرنا من ظاهرة سلبية تصاحب بعض مظاهر التقدم العلمي، لا يعني إلغاءنا لهذا التقدم، ولكن تعني متابعة النتائج السلبية ـ إن وجدت ـ وعملنا الدؤوب في رعاية قيم الأمة، لا سيما شبانها بناة المستقبل ووهج الحياة.

وإن من أرقى أنماط السلوك الأخلاقي خلق الوفاء، فما أروع وما أجمل وما أحرى بالإنسان أن يكون وفياً، وفيّاً لفطرته وفيّاً لدينه، وفيّاً لأهله وأسرته،

وفيّاً لأرحامه وجيرانه، وفيّاً لأصدقائه ومعارفه، ثم وفيّاً لأمته ومبادئها وقيمها!؟.

إن الوفاء بالعهود موقف مسؤول، ولهذا أمرت به الآية الكريمة: **﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾**.

وحينما يذكر القرآن الكريم بعضاً من صفات المؤمنين الأساسية يجعل منها: **﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾**[1].

خاصة من يعاهد الله على القيام بمهمة أو اتخاذ موقف أو حسن تعامل، قال تعالى: **﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾**[2].

ويؤكد هذا المنهج القرآني رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أهل بيته عليهم السلام بعده. فيقول صلى الله عليه وآله: **«أقربكم غداً مني في الموقف... وأوفاكم بالعهد»**[3].

وعن علي عليه السلام: **«بحسن الوفاء يعرف الأبرار، أفضل الأمانة الوفاء بالعهد، أفضل الصدق الوفاء بالعهد»**[4].

ولا يحول اختلاف - أي اختلاف كان - دون أن تفي للمقابل بالعهد؛ وإن كان الاختلاف في المذهب أو الطائفة أو الدين أو المعتقد أو القومية، لأن الوفاء بالعهد هي صنعة أنت مؤهل لها أيها المؤمن، حتى لو تصوّرت أن الآخر قد لا يستحقها، لأنك بذلك تخاطب فطرته وحسن ما أودعه الله في قلب الإنسان أي إنسان.

ولهذا نجد أن القرآن الكريم حينما أرّخ لنا مواقف المسلمين بعد أن نقض المشركون عهدهم مع حلفاء المسلمين من قبيلة خزاعة، ثم نزلت سورة براءة التي تلاها أمير المؤمنين عليه السلام على المشركين، حيث أعلن فيها التبرؤ من

(١) سورة البقرة الآية:١٧٧
(٢) سورة الفتح الآية:١٠
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص:٣٠٣
(٤) ميزان الحكمة ج٤

العلاقات مع المشركين، جاء الاستثناء لأهل العهد من أولئك المشركين، فجاء قوله تعالى: ﴿**إلاّ الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحبّ المتقين**﴾[١].

نعم فما دام أولئك المشركون لم يعملوا شيئاً يخالف عهدهم، فلا بد من الالتزام بذلك العهد، لأن هذا الالتزام تمثيل التقوى والخلق النبيل، ثم ما أجمل ما ختمت به الآية الكريمة: ﴿**إن الله يحب المتقين**﴾. فالمتقون ليسوا من يكثرون في العبادات ثم ينسون دينهم وعبادتهم في مواقفهم وسلوكهم.

وتأكيداً لهذه المدرسة القرآنية، نجد قول الإمام الصادق عليه السلام: «**ثلاثة لا عذر لأحد فيها؛ أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين**»[٢].

فتأملوا قيم الإسلام ولنسعَ جميعاً نحو إنزالها إلى الواقع.

إن الثقافة الغربية - خاصة في السياسة - تقول إنه ليس هناك مبادئ دائمة بل هناك مصالح دائمة، أما الإسلام فإنه لا ينسى مبادئه حتى مع من اعتبروا أنفسهم أعداءه.

ويذكر التاريخ العربي قبل الإسلام عن النعمان ملك الحيرة في دولة المناذرة، أنه كان عنده يوم سعد ويوم نحس. وكان قد انفرد ذات يوم عن جماعته، حتى كاد أن يهلك فأنقذه رجل أعرابي، فعرفه النعمان بنفسه ووعده خيراً إن جاءه ذات يوم. ومرّت الأيام، وإذا بذلك الأعرابي المسكين يسوقه حظه العاثر إلى أن يأتي النعمان في يوم بؤسه، فلما رآه النعمان عرفه وتذكر إحسان الاعرابي إليه، ولكنه قال له إنه لا بد له من قتله لأنه يوم بؤسه، فتفاجأ

(١) سورة التوبة الآية:٤

(٢) منتهى الطلب،ج،ص:١٠١٦.

الأعرابي الذي كان يتأمل من هذا الملك الكثير، ثم قال له: أمهلني سبعة أيام لأودّع أهلي ثم أعود إليك، فقال له النعمان: ومن يكفلك فتصفح الأعرابي وجوه الحاضرين فلم يجد أحداً يكفله، وإذا بوزير الملك تأخذه أخلاقه إلى أن يتكفّل ذلك الأعرابي، فهددّه الملك أنه إذا لم يعد الاعرابي فسوف يُقتل. ومرّت الأيام السبع ثقيلة، فلما جاء اليوم الأخير كان الجميع ينظرون هل من قادم؟ وانتصف النهار وجاء العصر ولم يأت أحد، فقال الملك لوزيره: لا بد من قتلك، فقال: حتى تغيب الشمس، وإذا بهم يرون شبحاً من بعيد ونظروا وإذا به ذلك الاعرابي ـ فتعجب الجميع من وفائه وهو يعلم أنه قادم إلى الموت، وكان أكثرهم تعجباً النعمان نفسه، ثم سأله ما الذي دعاك إلى أن تعود؟ فقال له: إنه ديني ـ أو كان على دين عيسى عليه السلام ـ فقرر النعمان إكرامه وإلغاء يومي السعد والنحس.

نعم إن الوفاء خلق وموقف دعت إليه كل ديانات السماء.

وإذا أحس الإنسان بأنه قد فقد الأخلاق في مجتمعه، وأن من حوله لا يراعون القيم الخلقية في تعاملهم معه، عاش حزيناً كئيباً محبطاً.

ذهب الـــوفـــاءُ فـــلا وفـــاءَ

ولا حـــيـــاءَ ولا مـــروّه

إلاّ الـــتـــواصـــل بـــالـــلسـانِ

مـــن الـــنـــفـــوس بـــلا أُخـــوّه

ثم إن للوفاء أبعاداً، فقد يكون وفاءً لشخص ما لعلاقة شخصية معه، أو وفاءً لأسرة بحكم العلاقة الأسريّة، أو لرفقة عمل أو دراسة أو غير ذلك، وكلها أمور محمودة في نفسها.

وقد يكون وفاء الإنسان على أساس مبدأ وقيم ودين، أي يتجاوز البعد

الشخصي إلى الأبعاد والمفاهيم العليا والمبادئ السامية، فهذا هو أروع أبعاد الوفاء، وفي قمته يأتي الوفاء لخط السماء، ومن يمثّل ذلك الخط، حيث ينظر إليه لا بعنوانه الشخصي، بل ببعده الرسالي.

ولنقف في مجلسنا هذا ـ ونحن في ليلة الأنصار ـ على ثلاثة مواقف.

الموقف الأول كان في يوم أحد حيث استشهد الكثير من المسلمين، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتفقّد أصحابه بعد انتهاء المعركة، وما مصيرهم. حتى قال: من ينظر إلى ما فعل سعد بن الربيع، أفي الأحياء هو أم الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظرُ لك يا رسول الله.

فذهب يبحث عنه فوجده بين القتلى وبه رمق من الحياة، فقال له: إن رسول الله أمرني أن أنظر له في الأحياء أنت أم في الأموات، فقال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله خيرَ ما جزى نبيّاً عن أمته، وأبلغ عني قومك السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلُص إلى نبيّكم سوءٌ وفيكم عين تطرف! ثم تنفّس فمات. فرجع الأنصاري إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بحاله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **رحم اللهُ سعداً نصرنا حيّاً وأوصى بنا ميّتاً**[1].

وكان الموقف الثاني مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفّين. إذ صُرع أحد أصحابه واسمه عبد الله بن بُديل، فمرّ به الأسودُ الخزاعي وهو بآخر رمق، فقال له: عزّ عليّ ـ والله ـ مصرعك، ثم توجّع له، ونزل إليه وقال: رحمك الله يا عبد الله إذ كنتَ لمن الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله. فقال: أوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين وتقاتل معه حتى يظهر الحق أو تلحق بالله، وأبلغ أمير المؤمنين عني السلام وقل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها

(١) بحار الأنوار، ج٢٠ ص:٦٢.

خلف ظهرك، فإنه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب، ثم لم يلبث أن مات. فأقبل الأسود إلى علي عليه السلام فأخبره، فقال: **رحمه الله جاهد معنا عدوّنا في الحياة ونصح لنا في الوفاة**[1].

أما الموقف الثالث للوفاء - وإني أظن أن النفوس والأرواح والقلوب قد تهيأت للانتقال إلى كربلاء - فقد كان في كربلاء، وقد كان من مسلم بن عوسجة الأسدي (رض) حينما صرع يوم عاشوراء وبه رمق، فمشى إلى مصرعه الإمام الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر الأسدي(رض)، حيث تلا الحسين عليه السلام قوله تعالى: ﴿**فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً**﴾[2] **ثم قال له: رحمك الله يا مسلم**. وجاء دور حبيب ليقول له: عزّ عليّ مصرعُك يا مسلم، أبشر بالجنة، فقال مسلم(رض): بشّرك الله بخير يا أخي يا حبيب، ثم أردف حبيب قائلاً: لولا أعلم أني في الأثر لأحببتُ أن توصيني بجميع ما يهمّك، فقال مسلم: أوصيك بهذا، وأشار إلى الحسين عليه السلام، أن تُقتل دونه؟ فقال له حبيب: لأُنعمنّك عينا يا أخي يا مسلم،

ثم فاضت روحه بينهما!

أوصى ابنُ عوسجةٍ حبيباً قال

قاتل دونه حتى الحمام تذوق.

نصروهُ أحياءَ وعند مماتهم

يوصي بنصرته الشفيق شفيقاً

(نصاري): **حبيب تريد من عندي وصيّه**

اشبيدي حالت اعليَّ المنيّه

أوصّيك ابغريب الغاضريه

هذا حسين عنّه لا تكصرون

(١) الغدير،ج٢، ص:٣٦٥.

(٢) سورة الأحزاب،الآية:٢٣.

(نعي): وصلت يبن ظاهر منيتي

ما وصّيك بعيالي وبيتي

ولا تحفظ أولادي وثنيتي

إن كان نيتك مثل نيتي

اريدنك تجاهد سويتي

بالحسين وعياله وصيتي

وكان أصحاب الحسين عليه السلام قد ضربوا أروع أمثلة الوفاء لله ولرسوله ولأمير المؤمنين ولفاطمة وللحسن والحسين عليهم السلام، وفاء للإسلام والقرآن، حتى قال فيهم سيدهم الحسين عليه السلام: **والله لا أعلم أصحاباً أبرّ ولا أوفى من أصحابي**، ولما سقط سعيد بن عبد الله الحنفي (رض). وكان قد وقف درعاً دون الحسين عليه السلام ومن كان يصلّي معه، حيث كان يتلقى السهام والرماح والحجارة بوجهه وصدره، حتى سقط إلى الأرض. فالتفت إلى الحسين عليه السلام قائلاً: أوفّيتُ يا ابن رسول الله؟ قال: **نعم وأنت أمامي في الجنة، ثم قال له: سعيد، أبلغ جدي رسول الله عني السلام، وقل له: إن حسيناً في الأثر**، وتكرر نفس الموقف مع عمر بن قرظة الأنصاري (رض).

هذا والحسين عليه السلام يودعهم واحداً بعد آخر، حتى بقي وحيداً فريداً ينظر يميناً وشمالاً، فيرى أصحابه مجزّين حوله كالأضاحي، هذا من صافح التراب جبينه، وهذا من سقطت يساره ويمينه، فأخذ يناديهم بأسمائهم، يا حبيب، يا زهير، يا برير، يا عابس... ما لي أدعوكم فلا تجيبون واستنصركم فلا تنتصرون.

(نعي): وقف ما بينهم والدمع سكّاب

ينادي هاي تاليكم يالأحباب

يصير اعتب وأنا أدري ما من أعتاب

وعند الموت كل شي موش ميسور

(نصاري): تعنّه احسين وصّل للمعاره

لقاهه امطرحه دمه يتجاره

جذب حسره وتوسّف على انصاره

غده يعتب عليه بدمع من دم

غده يعتب عليهم بقلب مهموم

يطيب الكم يفرسان الوغى النوم

تخلوني وحيدا بين هالقوم

وجيش اعداي للغاره تؤلّم

فساعد الله قلب زينب عليها السلام وهي ترى أخاها الحسين ينادي أصحابه ويستغيث حيث لا مُجيب ولا مغيث؛ فوجهت وجهها إلى النجف تنادي أباها:

(نعي): يخويه تنادي ولا لك امعين

وقومك على الغيره مطاعين

أنا منين اجيب المرتضى منين

عن كربلا بويه غبت وين

تدري بأميّه تطلب بدين

يطلبون ثار ابّدر وحنين

هجموا فرد هجمة على حسين

قم يا علي فما هذا القعود وما

ظني تغضّ على الأقذاء أجفانا

وانهض لعلك من همّ ألمّ بنا

تفكنا وتولّى دفن قتلانا

مجلس الليلة السابعة

شهادة العباس بن علي عليه السلام

الإخوة في الإسلام

القصيدة

القريض

دعـــاني فـــلَّـبـيـــثُـه مـــذ دعـــا
هـــدىً أودع الـــقـــلبَ مـــا أودعـــا
ومـــا زلت أعصـــي دواعـــي الـهـيـام
ولـــولاكـــم لم أجب طـــيِّـــعـــا
إذا الـــقـــلب فـيـكـم جـوىً لا يـذوب
فـقـد كـذَّب الـقـلبُ فـيـمـا ادَّعـا
بـكـيتُ عـلـى ريـعـكـم قـاحـلاً
فـــأخصب مـــن ادمـــعـــي ممرِعـا
فـــلا الـــنـــومُ خـــالـــطَ لي نـــاظـــراً
ولا الـــلـــومُ قـــد خـــاضَ لي مسـمـعـا
جـــزعتُ ولـــولا الـــذي قـــد أصـــاب
بين الـــوحـــي مـــا كـــدتُ أن أجـــزعـا
غـداةَ أبـو الـفضـلِ لـفَّ الصـفـوف
وفـلَّ الـظُّـبـا والـقـنـا شُـرَّعـا
فـتـىً ذكَّـر الـقـوم مـذْ راعـهـمْ
أبـاهُ الـفـتـى الـبـطـل الأنـزعـا
إذا ركـــع الســـيـــفُ في كـــفِّـــهِ
هـوت هـامـهـم سـجَّـداً رُكَّـعـا
وآب ولم يُـــرَوَ مـــن شـــربـــةٍ
وجـــرَّعـــهُ الموتُ مـــا جـــرَّعـا

فـخـرً إلى ضـفـةِ الـعـلـقـمـيّ
صـريـعـاً فـأعـظـمْ بـهِ مصـرعـا
قـطـيـعَ الـيـمينِ عـفيرَ الجبينِ
تشـقُ الـنصـال لـهُ مضـجـعـا
لـقـد هـجـعتْ أعينُ الشـامـتين
وأخـرى لـفـقـدك لـن تـهـجـعـا
أسـاقـي الـعـطـاشـى لـقـد كـظّـهـا
الـظـمـا فـاسـتـقتْ بـعـدك الأدمـعـا
(أبو ذيّه): الماي انمنع والظامي شريعه
واحـنـه أبـنـاء مـن سـنَ الشـريـعـه
انـطـفت عـيـنـه الملك صـدر الشـريـعـه
اكفوفه اعلى النهر طاحن سويّه
(أبو ذيّه): عليه الخيل من هجمت وردها
وجـاب الماي أبـو فـاضـل وردهـا
الشـهـاده ابـحـق تمنّـاهـا وردهـا
وضـحّـه ابمهـجـتـه لابـن الـزكـيّـه

الموضوع

قال تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[1].

كانت الحياة قبل الإسلام تقوم على أساس الاحتكام للقوة والاستيلاء على الغير والتعصب للدم والقبيلة، وإن كانوا على باطل وظلم.

فنجد أن أحد شعراء الجاهلية وهو من أصحاب المعلّقات ـ وهو عمرو بن كلثوم ـ يقول وهو يمتدح قومه:

(١) سورة الحشر الآية:٩

بـغـاةٌ ظـالمون ومـا ظُـلـمـنـا
وكـنّـا سـنـبـدأُ ظـالميـنـا
إذا بـلـغ الـفِـطـامَ لـنـا صـبـيٌّ
تـخـرُّ لـه الجبـابـرُ سـاجـديـنـا

في صورة تعكس مدى ما كانوا عليه من خيلاء وغرور واستخفاف بالآخرين، فكثرت الحروب وعمت الفوضى وشاعت الثارات، فتمزقت الأُمة وتشتت قواها وتفرقت كلمتها. وصارت كل قبيلة ترى نفسها فوق الآخرين:

إذا نـحـن سـرنـا سـارت الـنـاسُ خـلـفـنـا
وإن نـحـنُ أومـأنـا إلى الـنـاس وقّـفـوا

وكانوا يرون الأفضل من يستطيع أن يؤذي الآخرين أكثر:

كقول القائل: ولكنّ فتى الفتيان من راح أو غدا
لضـرّ عـدوّ أو لـنـفـع صـديـقِ

أو قول زهير بن أبي سلمى: ومن لم يذد عن حوضه بسلاحهِ
يـهـدَم ومـن لا يـظـلـم الـنـاس يُـظـلـمِ

وانعكس هذا الموروث الحضاري في أسماء أبنائهم، فكانت أسماءً تدلّ على الغلظة والقسوة وإخافة الآخر، مثل أسماء: حنظلة، صخر، عوسجة. كما كانوا يسمون عبيدهم أسماء جميلة. ولما كانوا يسألون عن ذلك يقولون: عبيدنا لنا، وأبناؤنا لأعدائنا.

ثم أشرقت الأرض بنور ربها، وجاء الإسلام العظيم، ونزلت آيات القرآن الكريم، وهبّ النبي ﷺ يغيّر معادلات التعامل الاجتماعي والسلوك الإنساني وفق شريعة السماء. فدعا إلى المحبة والأخوة والاتحاد، ونبذ التفرقة والتمزق والتشرذم.

ولم يكتف النبي ﷺ بالمواعظ والخطب، بل كان ﷺ قد أجرى عمليتي مؤاخاة، الأولى في مكة المكرمة بين المسلمين الأوائل، وفيهم الحبشي بلال، والرومي صهيب، مع أبناء قريش وبقية قبائل العرب، وإنها لحالة جديدة وحياة جديدة وعلاقة جديدة، حيث تبرز القيم والأحكام والدين منهجا يوحّد الكلمة ويرصّ الصفوف.

ثم كانت المؤاخاة الثانية، وكانت في مساحة أوسع ودائرة أخرى، كانت في المدينة المنورة بعد الهجرة، حيث جاء المسلمون الأوائل مهاجرين إلى بلدة أخرى ، بعد أن تركوا أهلهم وديارهم وأموالهم. دخلوا المدينة فوجدوا مجتمعاً لم يألفوه، وقوماً ما عرفوهم من قبل. فأخذ اليهود بالمدينة يسعون لإثارة الحزازات الجاهلية ويفرقون بين المهاجرين والأنصار، بل وحتى بين الأنصار أنفسهم، فقد جاء قوم من اليهود وأخذوا يذكرون أبناء قبيلتي الأوس والخزرج من الأنصار بأشعارهم في الجاهلية وفخرهم ودعوتهم إلى التعصب، حتى كادت الحرب أن تنشب بين الأنصار أنفسهم.

وكان النبي ﷺ في كلا المؤاخاتين يؤاخي علياً عليه السلام وهو يقول له: «**أنت أخي في الدنيا وأخي في الآخرة**».

فأقدم النبي عليه السلام على خطوات ذات أهمية كبرى ،استوقفت حتى من كتب في تاريخ الإسلام من المستشرقين وغيرهم، حينما دعا إلى أن يتآخى كل مسلم مهاجر مع مسلم أنصاري، وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة وأعطوا أجمل الصور في استيعابهم لإخوانهم المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم، حتى مدحهم الله تعالى ﴿**يحبون من هاجر إليهم.. ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة...**﴾[1].

(١) سورة الحشر الآية:٩.

وكان من إنجازات الإسلام الكبرى توحيد قبائل العرب، ثم السعي نحو توحيد الناس جميعاً، **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**[١] **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾**[٢]. نعم اتقوا الله في أمتكم ووحدتكم ورص صفوفكم. ثم دأب القرآن على تذكير المسلمين بنعم الإسلام عليهم وكيف كانوا أيام الجاهلية **﴿وكنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم﴾**. وكم تغيّروا نحو الخير والهدى والصلاح والوحدة والمحبة بين مذاهب الأمة ومدارسها، إنما تبدأ بتوثيق عرى المحبة والانسجام بين المسلم وأخيه المسلم.

فجاءت تعليمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام وتوجيهاتهم تؤكد على توثيق العلاقة الخاصة بين المؤمن وأخيه المؤمن، والمسلم وأخيه المسلم.

بعدما أكّد القرآن الكريم الأخوة بقوله تعالى: **﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾**[٣].

يقول علماء اللغة: إن الأخ بجمع إخوان وإخوة. والفرق بينهما أن (الإخوان) تعني الأصدقاء المنسجمين على طريقة ما أو اتجاه ما، أما لفظة (إخوة) فتعني من ينتمون إلى الإخاء بالدم من الأبوين أو أحدهما.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«المؤمنون إخوة؛ تتكافى دماؤهم، وهم يدٌ على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم»**[٤].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: **«المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه»**[٥] ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعانا إلى مزيد من إخواننا المؤمنين ونتعرف على وجوه مؤمنة جديدة... «من جدّد أخاً في الإسلام، بنى الله له بُرجاً في الجنّة»[٦].

ثم إن أهل البيت عليهم السلام دعونا إلى ديمومة العلاقات الإيمانية واستمرارية الأواصر الأخوية، وعلمونا مقوّمات ذلك.

---

(١) سورة الأنبياء الآية:٩٢.
(٢) سورة المؤمنون الآية:٥٢
(٣) سورة الحجرات الآية:١٠
(٤) الكافي، ص:١٦٦
(٥) ميزان الحكمة،ج١،ص:٤١.
(٦) مستدرك سفينة البحار،ج١، ص ٤١

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**تحتاج الإخوة فيما بينهم إلى ثلاثة أشياء، فإن استعملوها وإلا تباينوا وتباغضوا، وهي: التناصف، والتراحم، ونفي الحسد**»[١].

فلكي تقوّي علاقاتك الإيمانية مع إخوانك، عليك أن تكون منصفاً حتى في تقويم نفسك، وأن تبنى العلاقة على التراحم والتعاطف، لا على التفكير بالمكاسب الماديّة وبناء الأُخوة على أساس الأرباح والفوائد المنتظرة، كما لا بد من نفي الحسد بل والسعادة إذا توفق الأخ وتقدّم في أي مضمار من مضامير الحياة، لأن نجاح أخيك وتفوقّه وتقدمهّ هو قوة لك ولخطك الإيماني.

كما وحذّرنا أهل بيت العصمة من بعض عوامل إفساد الأُخوة وربما موتها، وهو الجفاء وعدم التزاور وعدم السؤال عن الأخ، وتفقد أخباره والتعرّف على أحواله..

عن علي عليه السلام: «**إياك والجفاء فإنه يفسد الإخاء**»[٢].

خاصة إذا كانت هناك علاقة إيمانية قديمة وتاريخ أخوة عريق وأواصر محبة يعرفها الناس ويألفها المجتمع.

فعنه عليه السلام أيضاً: «**ما أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد الإخاء، والعداوة بعد المودّة**»[٣] صدقت يا أمير المؤمنين.

وما أروع قول علي عليه السلام: «**اختر من كل شيء جديده، ومن الإخوان أقدمهم**». إنها حكمة من حكم سيد البلغاء والمتكلمين عليه السلام. ولكي تكتمل الصورة الأخويّة الإيمانية، جاءت تأكيدات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، لتشير إلى أهمية أن يلقى المسلم أخاه المسلم بوجه منبسط وابتسامة وانشراح، فقد روى علي عليه السلام: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكره المعبّس في وجوه إخوانه**».

(١) مستدك سفينة البحار ج١، ص ٧١-٧٢ (٢) (٣) ميزان الحكمة ج١،ص:٤١

إن حقل الأُخوة الإيمانية حقل خصب ومتعدد الآفاق متنوع الأبعاد، نحتاج إلى أن نعيش تلك التوجيهات الراقية والتعليمات السامية وأنماط السلوك الهادفة، التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وصحابته المنتجبون (رض) يمارسونها في حياتهم الاجتماعية ومعادلات أخلاقهم في المجتمع الإسلامي الأول.

ولنتخذ من أُخوة أبي الفضل العباس عليه السلام مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام قدوة وأسوة ومدرسة للأخلاق ومنهجاً للتكامل.

وإذا تأملنا زيارات أبي الفضل عليه السلام التي تروى عن الأئمة عليهم السلام ،لوجدنا إشادات مؤكّدة وتنبيهات كبيرة على تلك النقاط الرائعة، والأخ المدافع عن أخيه، المجيب إلى طاعة ربّه، الراغب فيما زهد فيه غيره من الثواب الجزيل والثناء الجميل.

وورد في زيارة أخرى: «**أشهد أنك نصحت لله ولرسوله ولأخيك، فنِعمَ الأخ المواسي**».

وكان العباس يرتبط بالحسين عليه السلام إماماً وسيّداً وموجّهاً قبل ارتباطه به أخاً له من أبيه العظيم أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد اشتهرت أبياته:

والله، إن قطعتمو يميني

إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين

نجل النبي الطاهر الأمين

وقد جاءت للعباس عليه السلام وإخوته الثلاثة من أمّه أم البنين (رض) وهم: عبد الله وعثمان وجعفر، (رض) جاءتهم حالتا أمان من قائد الجيش بنجاتهم إن هم تركوا الحسين عليه السلام .

الأولى كانت لخالهم عبد الله بن أبي المحل الكلابي، فردّ العباس عليه السلام

ذلك ردّاً جميلاً، وقال لرسول خاله: أبلغ خالي عني السلام وقل له إن أمان الله ورسوله خير. وكان ذلك ليلة عاشوراء.

والمحاولة الأخرى يوم عاشوراء قبل نشوب المعركة، حيث ينادي الشمر: أين بنو أختنا أين العباس وإخوته؟ فسكتوا ولم يجيبوه، فقال لهم الحسين عليه السلام: **اجيبوه وإن كان فاسقا** ـ فقالوا له: ما شأنك وما تريد؟ فقال: يا بني أختنا، أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، وادخلوا في طاعة أمير المؤمنين يزيد!!

فردّ عليه العباس عليه السلام: قبحّك الله وقبّح أمانك، اتؤمننا وابنُ رسول الله لا أمان له؟ وتدعونا أن ندخل في طاعة اللعناء وأبناء اللعناء»!!؟

وكان العباس عليه السلام على رأس الوفد الذي حاور قادة الجيش الأموي لما زحف باتجاه مخيم الحسين عليه السلام عصر يوم عاشوراء، حيث التفت إليه قائلاً له: إذهب إليهم ـ بنفسي أنت ـ!

وقبل ذلك كان العباس عليه السلام قد جاء بالماء يوم السابع من المحرم وسقى أطفال الحسين عليه السلام وعياله، وتكررت له مرات أخرى.

وكان العباس عليه السلام آخر سهم في كنانة الحسين عليه السلام، ولهذا كان عليه حريصاً وبه ضنيناً، فلم يأذن له بالخروج للقوم وكان يخاطبه بقوله: (**أنت حامل لوائي وقائد عسكري، ومتى قتلت سقط لوائي وانهزم عسكري**).

عباسُ كبشَ كتيبتي وكنانتي

وسريَ قومي بل أعزَّ حصوني

يا ساعدي في كل معترك به

أسطو وسيف حمايتي بيميني

فلما قتل أصحاب الحسين عليه السلام ثم استشهد أهل بيته بعدهم، وكان آخر من قُتل منهم إخوة العباس عليه السلام من أمّه وأبيه، فلم يستطع العباس صبراً

فجاء إلى أخيه مستأذناً، فلم يأذن له الحسين عليه السلام ،بل قال له: أطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء، فذهب العباس عليه السلام إلى القوم ووعظهم وذكرهم غضب الجبار، (ومما يؤسف له أن أرباب المقاتل وكتّاب السير لم يوثقوا لنا خطبة العباس عليه السلام هذه)، ولكن أنّى للموعظة أن تؤثر في الضمائر الميتة والقلوب المتحجرة والنفوس المتصحّرة؟!.

فعاد إلى الحسين عليه السلام وأخبره بموقف القوم، وإذا به يسمع الأطفال؛ أنين الأطفال وبكاءهم وهم ينادون: العطش العطش...

فأخذ القربة واتجه نحو نهر العلقمي...

أو تشتكي العطش الفواطم عنده

وبصدرِ صعدته الفراتُ المفُعم

ولو استقى نهر المجرة لاستقى

وطويل ذابله إليها سلَمُ

ووصل إلى نهر الفرات، فأطال النظر إليه فتمثلت أمامه صورة الحسين عليه السلام والنساء والأطفال، وكان قد اغترف ماءً بيده، فرماه وأخذ يخاطب نفسه الزكيّة:

يا نفس من بعد الحسين هوني

وبعده لاكدت أن تكوني

هذا حسين وارد المنون

وتشربين بارد المعين

هيهات ما ذاك فِعال ديني

ولا فعال صاحب اليقين

(نصاري): **شلون الماي اشربه قبل الحسين**

وكبده من العطش مقسوم نصفين

وبعد طفله وسكنه والنساوين

بالخيمه ولعد جودي ينظرون

كل الماي ذبّه ونفض كفّه

وجذب ونّه وناده ألف وسفه

اشلون الماي أمد كفي واغرفه

وانه ساقي العطاشا الناس يدرون

حمل الراية وكان كل همّه أن يوصل الماء إلى أطفال الحسين عليه السلام وعياله، وكان القوم قد أحاطوا به، فراح يقاتلهم وهو يقول:

لا أرهبُ الموت إذا الموتُ زقا

حتى أوارى في المصاليت لقى

إني أنا العباس أغدو بالسقا

ولا أخاف الموت يوم الملتقى

فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم اتجه إلى المخيم، ولكن لعناء كمنوا له وراء نخلة فقطعوا يمينه ووراء أخرى فقطعوا يساره. ومع ذلك، فقد واصل العباس عليه السلام سعيه نحو المخيم، إلى أن جاءته السهام كأنها المطر، وجاء سهم فأصاب القربة وأريق ماؤها، فوقف العباس عليه السلام متحيّراً لا يدري ما يصنع، فلا يدان ولا ماء، ثم جاءته السهام كأنها المطر وحمل عليه رجل بيده عمود من حديد فضربه على رأسه ففلق هامته، فنادى: **عليك مني السلام أبا عبد الله.**

وسمع الحسين عليه السلام صوته فجاءه إلى مصرعه:

ومشى لمصرعه الحسين وطرفه

بين الخيام وبينه متقسمُ

الـــفـــاه محجـــوب الجمـــال كـــأنَـــه

بـــدر مـــنـــخـــطـــف الـــوشـــيـــج مـــلـــثَـــمُ

فوقف على مصرعه وهو يقول: أخي عباس، الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوّي، ثم انكبّ عليه مقبلاً:

هـــوه اعـــلـــيـــه ونـــاده بـــهـــلال الســـعـــد

بـــيـــمـــن اتـــنـــخَـــه يـــبـــو فـــاضـــل بـــعـــد

(نصاري): أنت نور خيامنه وانت العمد

وبـــعـــد عـــيـــنك مـــن يـــحـــامـــي الـــعـــايـــلـــه

(نعي): يـــعـــبـــاس اخـــوك حسين ينـــخـــاك

ولـــلـــعـــلـــقـــمـــي اعضـــيـــدك تـــعـــنَـــاك

عـــنـــدك وقـــف يـــنـــحب ونـــاداك

يـــخـــويـــه انـــكســـر ظـــهـــري اعـــلـــى فـــركـــاك

(تخميس): قد كنتَ لي مذ كان يطمع طامعٌ

بـــي يـــا أخـــي وشب حســـامك قـــاطـــعُ

الآن مـــن لي؟ والـــدمـــوع هـــوامـــعُ

لمن الـــلـــوا أعـــطـــي ومـــن هـــو جـــامـــعُ؟

شملي وفي ضنك الزحام يقيني

أأخـــي مـــن يـــحـــمـــي بـــنـــات محمـــد

إن صرن يسترحمن من لا يرحمُ

مجلس الليلة الثامنة

شهادة القاسم بن الحسن عليه السلام

تكريم الإسلام للمرأة

القصيدة

القريض

من شيبة الحمد شبان مشت مرحاً
لنصرة الحق لا كبراً ولا تيها
بسَامة الثغر والأبطال عابسة
تفترُ منها الثنايا عن لئاليها
لو لم يكن همها نيل الشهادة ما
أبقت على ا ٔرض شخصاً من أعاديها
ليست تبالي والأسياف صلصلة
مطبق سعة الغبراء داويها
وللرماح اصطكاك في أسنتها
وللسهام اختلاف في مراميها
ناهيك بالقاسم بن المجتبى حسنٍ
مزاول الحرب لم يعبأ بما فيها
شأن بيض مواضيها تكلمه
عنيد تغازله منها غوانيها
لو كان يحذر بأساً أو يخاف وغرى
ما انصاع يُصلح نعلاً وهو صاليها
أمامه من أعاديه رمال ثرى
من فوق أسفلها ينهال عاليها
ما عمم الأزرق الأزدي هامته
فاحمر بالأبيض الهندي هاميها

فخر يدعو فلبّى السبط دعوته
فكان ما كان منه عند داعيها
وافى به حاملاً نحو المخيم و
الآفاق في وجهه حمر مجاريها
تخط رجلاه في لوح الثرى صحفاً
الدمع منطقها والقلب تاليها
آه على ذلك البدر الأشم محا
بالخسف غرته الغراء ماحيها
ضلع حسين عالقاسم محنّه
يعمي بمقتلك زادت محنّه
شاله حسين وبدمه محنّه
وجابه للخيم يهل الحميّة

(فائزي ـ بحراني):

قومي يا زينب ساعديني عالرزيه
جاسم وقع من المهر فوق الوطيّه
اقعد يَمن ردتك ذخر من جور الأيام
ليش اقطعت بيّه ونسيت أمك يجسام
هيهات من غمضت عينك عيني تنام
والله لعودها السهر غصباً عليَّ
يوحيدي يلماردت غيرك بدنياي
لا تظن غير الموت يطفي جمرة احشاي
هيهات اطفي سعيرها بدموع عيناي
لكني جفت دمعتي الكانت جريه

الموضوع

قال تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم﴾[١].

اختلفت الفلسفات القديمة والحضارات السالفة في أمور كثيرة، ولكن هناك شبه إجماع على مسألة ظلم المرأة وإجحافها حقها وعدم إعطائها أبسط حقوقها الإنسانية، بل تمادت بعض تلك الحضارات لتشكك حتى في إنسانية المرأة، فهل هي إنسان أم أنها مخلوق شبيه بالإنسان خُلق لخدمة الإنسان الذي هو الرجل بزعمهم؟.

ولم تكن الحضارة العربية قبل الإسلام بمعزل عن تلكم الثقافات الماضية حيث كانت المرأة صاحبة الحظ الأقل في الحياة والمجتمع. وذكر القرآن الكريم بعضاً من تلك الممارسات الخاطئة بل الظالمة للمرأة في المجتمع الجاهلي، مثل قوله تعالى: ﴿وإذا الموؤدة سئلت﴾[٢]﴿بأي ذنب قتلت﴾[٣]. في إشارة إلى عادة بعض القبائل العربية في قتل بناتها وهن وليدات أو صغيرات، وكانت البنت توأد لأسباب غريبة، مثل كونها شيماء (سوداء)، أو كونها زرقاء (أي زرقاء العينين، حيث كان العرب يتشاءمون من اللون الأرزق)، أو لأنها كسحاء (أي مقعدة)، أو مخافة العار، أو أن تكون سبية ذات يوم، وهكذا من أسباب لا تنتهي.

وكانت المرأة أو البنت مصدر قلق وألم حتى إذا تزوجت وانتقلت من بيتها إلى بيت زوجها. يقول أحد الشعراء في ابنته:

فإن زوجتها رجلاً غنياً
فيشتم جدها ويسب جدي
وإن زوجتها رجلاً فقيراً
فتعيش عنده والهم عندي

(١) سورة الحديد، الآية:١٢. (٢) سورة التكوير الآية:٨. (٣) سورة التكوير الآية:٩.

سـألت الله يأخذها بموت

وإن كانت أعز الناس بعدي

وتحفل قصص العرب وأشعارهم بالكثير من شواهد التبرم والانزعاج والتألم لوجود البنت.

كما وتحدث القرآن الكريم كذلك عن عادة أخرى من عادات الجاهلية: **﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرمة على أزواجنا﴾**[1]، أي بناتنا. فحتى الطعام الذي كان يقدم للبنت هو أقل شأناً من طعام الذكور والأبناء.

ولا تحسب أن الأمر انتهى، مع ذهاب الحضارات القديمة وغياب الفلسفات السابقة، لأن ما تعانيه المرأة في ظل الحضارة المعاصرة والمدنية الحديثة لا يقل ظلماً عن ذلك الظلم والإجحاف الذي عانته المرأة سابقاً.

فقد دأبت المدنية الغربية المعاصرة على أن تجعل من المرأة سلعة معروضة للبيع، ودمية لإثارة غرائز الرجل، حتى ينظر إليها كأنثى لا كإنسان، فهذه دور الأزياء وما يعرف بحفلات ملكات الجمال وعالم الدعايات التجارية وترويج البضائع والمنتجات، نجد المرأة فيها وقد صارت تستغل أبشع استغلال. ومراجعة - لو عابرة للإحصائيات الاجتماعية وغيرها التي تصدرها مراكز الدراسات الاجتماعية في العالم الغربي -، تضع أيدينا على مدى ما تتعرض له المرأة من استغلال وتحرش واعتداء واختطاف واغتصاب.

لقد كان البعض يقولون إن الحجاب يخلق عقدة في نفوس الرجال، ولهذا لا بد من الإسفار عن محاسن المرأة وترك الحجاب، حتى تكون الأمور والعلاقات عادية وطبيعية بين الرجل والمرأة. ولكن الواقع العملي والنتائج الواقعية أثبتت

(١) سورة الأنعام الآية:١٣٩.

عكس ما يقول هؤلاء، حيث تنتشر الممارسات الغريبة في المجتمعات الغربية والأساليب المعقدة التي تجافي الطبيعة الإنسانية والفطرة البشرية. إن الإسلام بتشريعاته السمحة وأساليبه الأخلاقية الرفيعة وحثه على العلاقات النظيفة الطاهرة بين الرجل والمرأة في مؤسسة الزواج التي تخلص الحياة من العقد والمعاناة التي يعيشها الإنسان الغربي المعاصر.

كما أن الحجاب فيما شرعه القرآن وأمر به الإسلام ودعا إليه النبي ﷺ إنما يراد منه الحفاظ على كرامة المرأة وشخصيتها كإنسانة، تعامل وفق المعايير الإنسانية، لا أن تجرّد من ثيابها وتبدي مفاتنها ومحاسنها فتكون فريسة للعيون الجائعة ونهبة للنفوس المريضة.

إن الحجاب حصن المرأة وكرامة لها وتقديس للجانب الإنساني في شخصيتها. إن الحجاب الذي أمر به الإسلام بأوصافه المعروفة: (أن لا يكون ضيقاً فيصف ما تحته، ولا شفافاً فيحكي عن مفاتن المرأة، ولا بألوان ملفتة)، إنما يهدف كذلك إلى منع الإثارة الخاطئة في المجتمع.

وغريب ما يثيره بعض الناس من ادعاء كاذب حينما لا يسمحون لبناتهم أو أخواتهم بارتداء الحجاب، لأنهم يتصورون أن لبس الحجاب سيمنع أو يؤخر زواجهن، في حين أن الواقع على عكس ذلك تماماً.لأن الشاب حينما يفكر جدياً بالزواج، فإنه يبحث عن المرأة الصالحة والشابة الملتزمة التي تكون له لا لغيره، حتى نجد في بعض البلدان أن غير المحجبة تعمد إلى ارتداء الحجاب حتى تخطب وتتزوج في وقت أسرع كثيراً من غير المحجبة.

كما أن هناك ادعاءاً غريباً آخر وشبهة ثانية حول الحجاب، فيما يقولون إن الحجاب يعيق تقدم البنت علمياً وثقافياً، وهذه أغرب من الشبهة السابقة، لأن الواقع يشهد أن الشابات المؤمنات هن في مقدم الركب العلمي في الثانويات

والجامعات، حتى أن أعداد المحجبات يزداد في الجامعات سنة بعد أخرى.

ثم لنسأل هل أن المرأة إذا لبست ثوباً قصيراً وتبرجت صارت أكثر قدرة على فهم المعادلات الرياضية واستيعاب المسائل العلمية؟ فما علاقة العلم بالسفور؟ وقبل سنوات استقبلت ملكة بريطانيا شابة مؤمنة من أب عراقي وأم لبنانية، كانت الأولى على جميع ثانويات بريطانيا والشابة بحجابها الإسلامي اللافت. وبالمناسبة، فإن إحصائيات دوائر التربية في بريطانيا أثبتت أن خريجي الثانويات غير المختلطة، هم أرفع درجات وأعلى معدلات وأكثر نسبة في النجاح من خريجي الثانويات المختلطة!!

ويردّ بوضوح أكثر على من يدعي أن المرأة إذا التزمت بحجابها، كان ذلك مدعاة لتقيّد حركتها وعدم مساهمتها في حقول التجارة أو العمل في المرافق الحياتية المختلفة والدوائر والوزارات المختلفة.

فإن المرأة المحجبة، موجودة بحضور واضح في الدوائر والشركات التجارية والمؤسسات المالية. ولقد كان القرآن الكريم قد سبق كل الفلسفات التي تدعي الدفاع عن حقوق المرأة، حينما جعل للمرأة شخصية مالية كاملة، فلها أن تبيع وتشتري وتهب، وما إلى ذلك من الممارسات التجارية والمالية، قال تعالى: **﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾**[1].

نعم هناك بعض الشركات تحاول الترويج لمنتجاتها، كما قلنا سابقاً ـ عبر وضع بعض النساء وبحالات فاضحة بمثابة كمائن للزبائن، مثل بيع السيارات الفاخرة ذات الأثمان الباهظة، حيث تقف إلى جانب كل سيارة امرأة أتقنت فن جذب الزبون ثم إخجاله بمسارعتها إلى عقد صفقة بيع تلك السيارة، حتى لا يستطيع التهرب من بيع محقق.

(١) سورة النساء الآية:٣٢.

كما أن من الغريب ادعاء بعض الكتاب أو المؤلفين وربما غيرهم، أن المرأة حينما تخلع الحجاب وتبرز مفاتنها، فإنما هي تقوم بعملية عرض شخصيتها في المجتمع، لأن الحجاب يشكل عائقاً دون معرفة المجتمع بهذه الشخصية وما تضمه من قدرات وكفاءات. فالحجاب - بزعمهم - عائق يحول دون اكتشاف شخصية المرأة. وهذا ادعاء غريب ومريب، فمتى كان خلع بعض الثياب تعبيراً عن شخصية الإنسان؟ إن شخصية الإنسان وكفاءاته إنما تظهر عبر سلوكه وأخلاقه وعبر علمه وتفوقه في مجالات العطاء الإنساني النافع والهادف.

ولماذا يكون خلع الثياب وسيلة لاكتشاف شخصية المرأة فقط دون الرجل فلماذا لا يقول هؤلاء المدعون أن على الرجل أن يكشف جسده لتعرف شخصيته، أم أنها الأساليب الشيطانية في الإيغال باستغلال المرأة ومحاولة تغييب جانبها الإنساني.

وامتدت المسألة حتى إلى الرياضة، فلنا أن نسأل: لماذا تكون ملابس الرجال في بعض أنواع الرياضة كألعاب الجمناستيك وغيرها طويلة، فيما تكون ملابس النساء الرياضيات قصيرة في نفس الحقل الرياضي؟!.

إن تشريع الحجاب تشريع متفق عليه في كل الأديان السماوية، لأنه منسجم مع الطبيعة الإنسانية، والفطرة التي أودعها الله في النفوس. وليس في هذا التشريع إجحاف بالمرأة أو إهانة لها، لأن الله تعالى المشرع هو خالق المرأة وخالق الرجل على حد سواء، فلماذا يحابي جانباً على حساب آخر؟.

ولهذا جاءت الآيات القرآنية تخاطب الرجل والمرأة وأنهما أساسا الإنسانية.

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

(١) سورة الحجرات الآية:١٣.

وكذلك في كونهما مسلمين أو مؤمنين: **﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات...﴾**[١].

وحتى في جانب المسؤولية تجاه الدين والمجتمع، فهما مسؤولان على حد سواء **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**[٢].

فكما على الرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فكذلك يقع الأمر على المرأة المؤمنة.

ولقد بادرت المرأة للإيمان بالإسلام والدفاع عنه، لأنها وجدت فيه دين الله الحق الذي يرعى حقها ويدافع عنها وعن إنسانيتها وكيانها.

فمع المسلمين الأوائل الذين بادروا لبيعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيعة العقبة، كان معهم المرأة مبايعة ومستعدة للدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين معه عندما وصلوا المدينة المنورة.

وقبل ذلك، كانت المرأة المسلمة قد نالت نصيبها من التعذيب والأذى في ساحات قريش وهجيرها، حتى كانت المرأة هي أول من فتح باب الشهادة في الإسلام، حيث كانت الشهيدة الأولى سمية أم عمار بن ياسر (رض).

كما أن المرأة المسلمة هاجرت مع المسلمين المهاجرين، سواء إلى الحبشة في الهجرة الأولى التي كانت بقيادة جعفر بن أبي طالب عليه السلام. أو في الهجرة الثانية إلى المدنية المنورة.

كما أن المرأة المسلمة كانت مع أخيها المسلم تسعى لبناء المجتمع الإسلامي الأول وإنزال معادلات للحياة والواقع، وجاءت آيات كريمة وأحاديث شريفة كثيرة في الإشادة بمؤمنات فضيلات مجاهدات سطرن أروع المواقف الرسالية الإيمانية.

---

(١) سورة الأحزاب الآية:٣٥.
(٢) سورة التوبة الآية:٧١.

حتى كان لبعض نساء المسلمين أدوار مهمة في بعض غزوات رسول الله ﷺ، مثل أم عمارة المازنية التي وقفت تدافع عن رسول الله ﷺ يوم أحد حينما فرّ غالبية المسلمين، وبقيت هذه المرأة مع بضعة مجاهدين مخلصين يدافعون عن رسول الله ﷺ وكان بيدها سيفان، حتى أصيبت بجراحات بالغة.

كما وسطر التاريخ موقف نساء مسلمات نزلن لقتل بعض اليهود الذين أرادوا السوء بأوضاع المسلمين يوم الأحزاب وخيبر. كما وكانت النساء تسقي المجاهدين وتداوي الجرحى في غزوات النبي ﷺ. وفي غزوات أمير المؤمنين عليه السلام كان للمرأة دور مهم وبارز في حث المجاهدين وشحذ هممهم، حتى لاقت بعضهن العنت والمعاناة والترويع والتخويف بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام.

أما إذا جئنا إلى أحداث نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فإن للمرأة فيها أدواراً بارزة جداً. بل إن هذه النهضة الخالدة ما كان لها أن تحظى بكل هذا الامتداد والعطاء والخلود، لولا الحضور النسائي الفاعل فيها وفي أحداثها، وفي مستويات متنوعة.

فهناك من كانت تحث على الالتحاق بالركب الحسيني الخالد، كما كان دور دلهم بنت عمرو مع زوجها زهير بن القين.

وهناك من كانت تؤي وتحامي كما صنعت طوعة. فيما أجارت مسلم بن عقيل (رض) بالكوفة.

وهناك من دعت قومها إلى النهوض للثأر للحسين عليه السلام والشهداء، كما كان من امرأة من آل بكر بن وائل.

وأما دور المرأة في الجانب الإعلامي للنهضة الحسينية وكشف الحقائق وبيان الأبعاد فهي مسألة كبيرة تحتاج إلى موضوع كامل، خاصة في دراسة

خطب بنات رسول الله ﷺ أثناء رحلة السبي، في بدايتها بكربلاء، أو مرحلتها الأولى بالكوفة، أو في الطريق إلى الشام ،أو مرحلتها الثانية بالشام، بل وحتى في العودة إلى المدينة.

وكم من امرأة وامرأة يوم عاشوراء حثت ولدها على بذل نفسه والتضحية بد ه دفاعاً عن دين الله ودين رسوله؟ ومن تلكم النساء استمدت أمهات الشهداء وزوجاتهم وأخواتهم وبناتهم حث أبطال المقاومة، حينما راحوا يسطرون أروع سجل في سفر الثبات والإخلاص والتضحية.

نعم، فكم من امرأة في كربلاء حثت الزوج والابن على بذل النفس والجود بها؟، فإن أم عبد الله بن عمير الكلبي (أبو وهب) وزوجته اشتركتا معاً في حثه على بذل دمه دون الحسين عليه السلام .

وأم عمرو بن جنادة الأنصاري، جاءت بابنها الا شب الصغير تمسكه من كتفيه لتقدمه بنفسها إلى سيد الشهداء عليه السلام .

وكذلك كان دور رملة زوجة الإمام الحسين عليه السلام ، حيث قدمت ولدين لها يوم الطف، الأول محمد بن الحسن عليه السلام ، ثم أخاه القاسم بن الحسن عليه السلام ، الذي عمل بوصية أمه وحثها، حيث جاء إلى عمه الحسين عليه السلام طالباً منه أن يأذن له بالبروز للدفاع عن قيم السماء ومفاهيم القرآن وسنة النبي ﷺ. فانكب القاسم عليه السلام على قدمي عمه الحسين عليه السلام ، متوسلاً به أن يأذن له، فقال له الحسين عليه السلام : **إبق مع النساء حيث لن يبقى لهن ناصر ولا معين، فقال له: لا بد لي أن التحق بك وبأبي وأعمامي وأبناء أعمامي.**

فلما رأى الحسين عليه السلام إصراره، أذن له بالنزول إلى المعركة، فاجتمعت النسوة حوله، عمته زينب عليها السلام وأمه رملة وبنات عمه.

(نعي): سدت أركابه سكينه

وعمته بنحره تشمه

ومن الخيم مذهوله

راحت تنادي أمه

يبني يقاسم يولدي

حيلك لعمك ضمه

لهاليوم أنا ذاخرتك

بالك تخيّب ظنوني

فاتجه عليه السلام إلى المعركة وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن

سبطِ النبي المجتبى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن

بين أناس لا سُقوا صوبَ المزن

وما يزال يقاتلهم قتال الأبطال، لا يعبأ بجمعهم ولا يبالي بكثرتهم. وبينما كان يصلح شسع نعله ـ حيث كانت العرب تأنف أن تحتفي بالميدان ـ، قال منقذ بن مرة العبدي: عليَّ آثام العرب إن لم أثكل به عمه، فشد عليه فضربه على هامته بسيفه فسقط لوجهه. ونادى القاسم عليه السلام: أغثني يا عم.

فجاء الحسين عليه السلام وقتل قاتله، وثارت غبرة شديدة. فلما انجلت، وإذا بالحسين عليه السلام واقف على جسد ابن أخيه ودموعه على خديه وهو يناديه: **يعز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يعينك أو يعينك فلا يغني عنك شيئاً**[1].

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص: ٣٤-٣٦.

(نصارى): يكله وناداه يا قاسم اشبيدي

يـريت السـيـف قـبـلك حـز وريـدي

هـانـلـكـم تـخـلـوني أوحـيـدي

وعـلـى الخيـم يـعـمـى الخيـل تـفتر

يـعـمـي اشـقـالت مـن الصبر روحك

يـبـويـه مـا تـراويـنـي جـروحك

لـون أبـقـى يـعـمـى كـنت أنـوحك

بـقـلب مـثـل الـغضـا وبـدمـع محمـر

ثم جاء به إلى خيمة الشهداء عليهم السلام:

جـابـه ومـدده مـا بين أخـوتـه

قـعـد عـدهـم يـولـيـلي وهـم مـوتـه

بس مـا سـمـعـن الـنسـوان صـوتـه

أجت أمـه تـنـادي الـلـه أكبر

خرج الحسين عليه السلام من المخيم ليترك هذا الشاب الشهيد للنساء يقمن المناحة عليه، لا سيما أمه رملة:

(نعي): ردتك ذخـر لايـام شـيـبـي

يَـوسَـف انـقـطـع مـنك نصـيـبـي

يمحـروم مـن شـم الـعـذيـبـي

بـعـدك تـره يـكثر نـحـيـبـي

(تخميس): يا ابن الزكي السبط قد أوحشتني

وإلى الـكـآبـة والـبـكـاء أسـلـمـتـني

بين الـعـدا في كـربـلا ضـيـعـتـني

أحـزنـتـني أبـكـيـتـني أثـكـلـتـني

(أبو ذية): يريم الصار صدري الك ما راح

لـعـد بـالي الـدهـر بـعـدك مـا راح

يـقـاسـم ابـيك تـعب أربـاي مـا راح

شـلت راسـي بـجـهـاد الـغـاضـريـه

بـنـي في لـوعـة خـلـفت والـدة

تـرعـى نجوم السـمـا بـالـليـل بـالسـهـر

مجلس الليلة التاسعة

شهادة علي الأكبر عليه السلام

مسؤولية الأبوين

القصيدة

القريض

حزن ابن ليلى يستدر مدامعي
ومضاء عزمته يثير هنائي
بدر تتوجه شمائل أحمد
بفصاحة وسماحة ومضاء
متجلبب من حيدر بشجاعة
ومن الحسين موشح بإباء
ملك الوغى بحسامه فأحالها
دهماء أعيت ألسن البلغاء
والسبط يرصده وفوق جبينه
للناظرين بوادر السراء
وإذا به يدعوه أدركني فقد
دارت عليَّ بجمعها أعدائي
فانقضّ مثل الصقر شاء فريسة
وجلى الصفوف وجال في الأرجاء
حتى إذا دفع العدى عن شبله
آوى إليه بلوعة وبكاء
ألفاه منعفر الجبين تمازجت
حمر الدماء بوجنة بيضاء
فجثا وأقنع للسماء بشيبة
مغمورة بمدامعٍ ودماء

يا عدلُ قد قتلوا شبيه محمد

أنزل بساحتهم عظيم بلاء

أبُني أقصدني الزمان وفتّ في

عضدي فلا أستطيع حمل ردائي

أبُنيَ كنت لي الأنيسَ إذا دجى

الليل البهيم وكنت بدر سماء(*)

(فائزي ـ بحراني):

نادى الشهيد حسين راح ابنك يليلى

تركي البكاء وردي للخيمة افرشيله

قالت عساه من العطش برد غليله

قلها قضى ظامي وهوت تلثم محياه

عاف ابنه يمها ومدت طولها عليه

تمسح عن اخدوده الدمه ومره تحاكيه

تضمه من الدهشه لنفسها وتسبل ايديه

وتصيح كدره عيشتي وصعبه بلَياه

يبني ابهرت ليلى وتركت النوم برباك

ولا غمضت عيني ولا ساعة بليَاك

أمَّلت عمري ينقضي يوليدي وياك

وخابت اظنوني آه يا فقد الابن آه

(أبو ذيه) يماي لمين ربيتك وريدك

كنت تبقه ويظل عيشي وريدك

(*) للشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله).

بعدما حسبت ينحز وريدك

بالطف وامشي اخلافك سبيه

(أبو ذيه)بدليلي يا سيوف العتب يمي

طريح وينعه بس الوحش يمّي

اتركي العتب لتعتبين يمّي

أشد من قتلي اعتابك عليّ

الموضوع

قال تعالى: ﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا ذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**﴾[1].

جاء هذا الدعاء القرآني الكريم على لسان الإنسان المؤمن الذي ينظر إلى علاقته بزوجته وأبنائه ﴿**أزواجنا وذرياتنا**﴾، علاقة تنطلق من كونهم سائرين على خط الهداية والالتزام ورضا الله تبارك وتعالى.

وإن من سعادة الإنسان المؤمن ـ وأي سعادة ـ أن يرى عائلته وأبناءه وبناته وهم على التزام وهدى وصلاح.

وقد وردت آيات قرآنية أخرى تؤكد هذا المعنى الرائع، كما رسمت هذه الآية الكريمة لوحة إيمانية جميلة في دعاء المؤمن في أن يكون هو وذريته من المصلين: ﴿ **رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي**﴾[2].

ولكي يحثنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على أن نولي مسألة التفكير والاهتمام بتربية العائلة تربية إسلامية مستقيمة، جعل أحد الموارد التي تستمر معها الحسنات في رصيد الإنسان حتى بعد وفاته، الولد الصالح الذي يدعو لأبيه، قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: علم يُنتفع به،**

(١) سورة الفرقان الآية:٧٤.

(٢) سورة إبراهيم الآية:٤٠.

صدقة جارية، ولد صالح يدعو له»[1].

وورد في الأخبار أن عيسى بن مريم عليه السلام مرّ ذات يوم بقبر فوجد صاحبه يتعذب فيه، ثم أنه عليه السلام مرّ بهذا القبر بعد مدةٍ من الزمن فوجد أن العذاب قد رفع عن صاحبه، فخاطب الله تعالى سائلاً : كيف رفع العذاب عن ذلك الميت؟ فجاءه الجواب: إن لهذا الميت طفلاً صغيراً، فلما بلغ نشأ صالحاً، فأصلح طريقاً وقضى حاجة ويسر أمراً، فغفر الله ببركة عمله لأبيه.

ولهذا، فإن الذي يسعى ويهتم ويواصل العملية التربوية داخل أسرته، يحظى برضا الله تعالى ومدح الناس له وثنائهم عليه في الدنيا، ورحمة الله ومغفرته ومزيد حسنات بعد وفاته. بل إن الأمر يصل إلى يوم القيامة، حيث جاءت بعض الروايات لتؤكد أن المؤمن يؤذن له بدخول الجنة، فيقول: إلهي ومعي أبواي، فيأتيه النداء: «أن خذ بيدي والديك وأدخلهما الجنة معك»!

إن مسألة التربية مسألة غاية في الأهمية والحساسية والخطورة، لأنها عملية بناء الإنسان الذي هو أغلى وأهم ما خلق الله تعالى.

وهذه القضية لها ثلاثة مؤثرات أساسية هي:

١) **الأسرة**: أي الأجواء الأسرية والعائلية، التي يوفرها الأبوان داخل البيت.

٢) **المدرسة**: وهي الحضن الثاني للطفل بعد بيئته الأولى في البيت.

٣) **المجتمع**: من جيران وأقارب وشارع وعلاقات عامة.

والأهم في هذه المؤثرات الثلاثة هي الأسرة، والتي يمكن للأبوين أن يوفرا فيها ما يستطيعان توفيره من عوامل التربية ـ كما سيأتي بيان أهمها ـ، إذ لا يستطيع طرف آخر خارج نطاق الأبوين ـ عادة ـ أن يؤثر في تربية الطفل.

ثم تأتي المدرسة التي يمكن أن تكون منسجمة مع الاتجاه التربوي

(١) شرح أصول الكافي ج٦، ص ١٣٧.

والأخلاقي الذي كان يعيشه الطفل في أسرته، ويمكن أن تكون المدرسة بعيدة عن تلك الأجواء.

ومن هنا، تبرز مسؤولية الأبوين في اختيار المدرسة المناسبة أخلاقياً وتربوياً مع الأساس التربوي الذي نشأ عليه طفلهما. ومن نعم الله تعالى وجود مدارس تعنى بالبعد التربوي والسلوكي والأخلاقي، إضافة إلى توفير الأجواء التعليمية والعلمية الجيدة والمتفوقة كذلك.

ولكننا نجد ـ لشديد الأسف ـ بعض الآباء والأمهات لا يراعون البعد التربوي والأخلاقي في اختيار مدرسة أطفالهم. فـ نجد بعض هؤلاء الآباء والأمهات، يفتخرون أنهم أدخلوا طفلهم ـ أو طفلتهم ـ في مدرسة لا تتكلم اللغة العربية مطلقاً، بل هم يتكلمون اللغة الفرنسية أو الإنكليزية فقط.

إن حجب اللغة العربية عن أبنائنا وبناتنا، يعني غرس الوحشة والشعور بالغربة مع منابع ثقافتنا وحضارتنا ودِيننا، فالقرآن كتاب الله الخالد هو كتاب عربي، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وقادة المسلمين هي عربية، وتاريخنا ولغتنا وأدبنا، كلها بجذور عربية.

نعم، إن علينا أن نولي تعلم اللغات الأجنبية اهتماماً قد يكون كبيراً، لكن لا يكون ذلك على حساب لغتنا الأم لغة القرآن والسنة والتاريخ والأدب والحضارة.

ولو أن المسألة اقتصرت على إزواء اللغة العربية وإهمالها لها فقط، لخفت المصيبة نوعاً ما، ولكن الخطورة تكمن مع تسرب قيم أخلاقية ومناهج سلوكية مخالفة لديننا وقيمنا وحضارتنا.

فإذا دخل الطفل مدرسة لا تهتم بالجوانب الأخلاقية، فإن جهود الأبوين التربوية السابقة تذهب أدراج الرياح، أو تكون في خطر على أقل التقادير.

ما أروع أن نجد المدرسة منسجمة مع الأسرة في رعاية الطفل أخلاقياً وتربوياً وعلمياً وثقافياً. إن المدرسة تأتي في المرحلة الثانية من حيث الأهمية بعد الأسرة.

أما بالنسبة للمؤثر الثالث وهو المجتمع، فهو مؤثر غير مشجع عموماً لأننا لا نستطيع أن نضمن الشارع أو نطمئن لما يأخذه الطفل منه.

وعليه تبقى الأسرة هي المنطلق التربوي الأول، والمعهد الأخلاقي الأقدم. ونحاول هذه الليلة ـ أو هذا اليوم إذا كان المجلس نهارياً ـ ونحن نعيش أيام الحسين عليه السلام وولده علي الأكبر عليه السلام وآثار تلك التربية الراقية والإعداد المميز، نحاول أن نقف عند أبرز النقاط في قضية الدور التربوي والأخلاقي للأسرة، حيث تبرز النقاط التالية:

١) ضرورة اختيار الشريك الملتزم، سواء كان في اختيار الزوجة أو في قبول الزوج. لأننا قد نجد بعض الناس لا يولي مسألة الالتزام اهتماماً، فالمهم هو الجانب المادي والموقع الوظيفي والمرتبة الأسرية أو الاجتماعية، أومسألة الشكل الخارجي والبعد الجمالي.

يقول النبي صلى الله عليه وآله كما روي عنه: تخطب المرأة لأربع: **لمالها وجمالها وحسبها ودينها، فاظفر بذات الدين**»[1].

لأن كل الأمور الأخرى، أمور عارضة وزائلة، ويمكن التعويض عنها بصفة الالتزام (الدين). في حين، لا يعوّض عن الالتزام شيء آخر.

عن الإمام الحسن عليه السلام: «**زوج كريمتك من مؤمن، فإن أحبها أسعدها وإن كرهها لم يظلمها**»[2] ما أروع هذا القول وأجمله.

---

(١) إعانة الطالبين،ج٣،ص:٣١٢.

(٢) ميزان الحكمة،ج٢،١١٨٢.

إن انسجام الزوجين على خط فكري وإيماني واحد، يجعل العملية التربوية ناجحة بدرجات عالية.

٢) الاهتمام باختيار الاسم المناسب للطفل، لأن الاسم هو جزء من شخصية الإنسان، ولهذا جاءت روايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام لتؤكد على أهمية اختيار الاسم الذي يسنجم مع العملية التربوية.

ويمكن لنا أن نقول إن لكل مرحلة من المراحل التي يمر بها المجتمع ـ أي مجتمع ـ نمطاً من الأسماء، فحينما يكون المجتمع خاضعاً لفكر ما أو ثقافة ما، فإن نتائج ذلك الفكر وتلك الثقافة، ينعكسان ـ فيما ينعكسان عليه ـ في أسماء أبناء ذلك المجتمع.

ولهذا، نجد أن لكل جيل لوناً معيناً من الأسماء، وقد جعل الإسلام من حق الولد على والده اختيار الاسم المناسب له.

جاء رجل للإمام الصادق عليه السلام وقال له: يا ابن رسول الله، إنا نسمي أبناءنا بأسمائكم، فهل ينفعهم ذلك؟ فقال عليه السلام: **أي والله، وهل الدين إلاّ الحب**»[1].

٣) إن سلوك الأبوين منذ نعومة أظفار الطفل يعتبر أكبر مؤثر سلوكي وتربوي، فالتربية لا تعني إسداء النصائح وإلقاء المحاضرات، بقدر ما تعني التعليم بالسلوك اليومي والتربية بالتعامل الحياتي.

يقول علماء التربية: هناك نمطان للتربية: ـ **الأول**: المباشر، ـ **الثاني**: غير المباشر، أي عبر السلوك والموقف، وهو الأبلغ.

فما فائدة قولنا لطفلنا إن الكذب حرام، وإذا جاء أحدهم وطرق الباب، أو رن جرس الهاتف ليسأل عن الوالد وهو موجود في البيت، فيلتفت إلى ولده

(١) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص ٢١٩.

ويقول له: قل لهذا الرجل إن أبي غير موجود في البيت؟!. إنه درس عملي في الكذب واستسهاله.

٤) تشجيع الأبناء على السلوك الملتزم أو القيام ببعض المسؤوليات والعبادات، مثل منح الهدايا لحفظ آيات أو سور من القرآن الكريم، أو أحاديث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، أو هدية تذكارية عند بداية الصلاة أو عند أول شهر رمضان يصومه أبناؤنا أو بناتنا.

وعموماً، فإنه يستحب للرجل أن يهدي أهله ـ زوجته وأطفاله وأبويه ـ، لأن الهدية تحبب النفوس وتقرب بين القلوب.

٥) ضرورة أن يعيش الأولاد أجواء عائلية أخرى ملتزمة ومن هنا، يأتي التعاون والتآلف بين العوائل الملتزمة في زيارات أو رحلات، لتتوثق مهمة الأسر الملتزمة. فالولد يجد ولداً ملتزماً مثله، والبنت تجد بنتاً محجبة مثلها. وهذا مما يؤكد تلك القيم التربوية التي سعى الأبوان لإحلالها في نفوس أولادهما.

٦) كما يؤكد على ضرورة أن يعيش الأطفال أو الأسرة عموماً الأجواء الإيمانية العامة. ما أروع أن يأخذ الأب عائلته وأطفاله إلى عمرة البيت الحرام ثم يعرج على المدينة المنورة، أو زيارة البقاع الطاهرة لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

وكذلك اهتمام الأسرة بالمساجد خاصة في الليالي والأيام العبادية مثل ليلة الجمعة ويومها أو ليالي القدر، أو المناسبات الأخرى ومنها هذه المجالس الحسينية المباركة التي تعقد تخليداً لمواقف شهداء الطف الخالدة. تلك الواقعة التي ما تزال تحظى بحضور تاريخي وواقعي لافت، لأنها تضمنت مواقف ودروساً امتدت إلى الإنسان في أي مرحلة أو حال كان عليها.

فإن ذكرت الأطفال كان هناك الطفل الرضيع، وإذا ذكرت الأخ كان هناك

العباس وأخوته والقاسم وإخوته، وإذا ذكرت البنت كانت هناك رقية وسكينة وإذا ذكرت الأخوات كانت هناك زينب وأخواتها، وإذا ذكرت الأبناء والشبان كان هناك شبيه رسول الله خلقاً وخُلقاً ومنطقاً، نعم كان هناك علي الأكبر بن الحسين عليه السلام .الذي تصفه بعض الزيارات أنه كان من الفرحين بلقاء الله تعالى، وهذه الصفة تعني ذلك المستوى التربوي الكبير وذلك الاستعداد والوعي العميق، الذي جاء نيتجة لتلك التربية والتواصل والأخذ من ذلك الأب العظيم من الحسين السبط، سبط رسول الله، الإمام المعصوم وتلك الأسرة بيت الوحي ومهبط الرسالة وموضع التنزيل.

وقد تجسدت ـ فيما تجسدت فيه ـ تلك التربية الإيمانية الراقية لعلي الأكبر عليه السلام ، في الطريق إلى كربلاء، حيث كان الركب الخالد يسير إلى حيث الواقعة التي لم تلد الدنيا نظيراً لها ولا شبيهاً، حيث غفت عينا الحسين عليه السلام ، فعنّ له فارس في رؤياه وهو يقول: إن القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فانتبه الحسين عليه السلام مسترجعاً حامداً، **إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين**، وكان ولده الأكبر عليه السلام إلى جانبه، فأثار انتباهه مقالة أبيه العظيم عليه السلام فقال: يا أبتِ لم استرجعت؟ فقص الإمام الحسين عليه السلام عليه رؤياه.

يا ترى ماذا تتوقع أن تكون ردة فعل هذا الشاب الذي لم يكمل العشرين من عمره، وعلى رواية تجاوز العشرين ببضع سنوات، هل يقول له لنرجع أو نسالم أو نتفاوض أو أو؟؟

وإذا بشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسليل علي والحسين عليهما السلام يبادر أباه سائلاً: أو لسنا على الحق؟ نعم هذا هو الأساس، الحق وموقف الحق والدفاع من أجل الحق والتضحية في سبيل الحق، وما قيمة الحياة بلا مواقف يؤيدها الحق ويخلدها؟

فأجابه الحسين عليه السلام: **أي والذي إليه مصير العباد، وإذا بالأكبر يعقب بقوله: إذاً لا نبالي أن نموت محقين**[1].

ورث الصفات الغر وهي تراثه

من كل شهم أصيل

في بأس حمزة في شجاعة حيدر

بأبي الحسين في مهابة أحمد

فعلت ابتسامة رضا وانشراح محيا الحسين عليه السلام وقال: **جزاك الله خير ما يجزي ولداً عن والده.**

هنيئاً لك أبا عبد الله بهذا الابن الذي جسد مفاهيم القرآن وقيم الإسلام وسلوك جدك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم خلقاً وخلقاً ومنطقاً. لكن أبا عبدالله، ولكن نقول أيضاً: ساعد الله قلبك وأعظم الله أجرك وأجر جدك المصطفى وأبيك المرتضى وأمك الزهراء وأخيك المجتبى عليه السلام ، حينما جاءك ولدك الحبيب هذا يستأذنك في الخروج للمعركة، ليكون أول هاشمي يبادر للقتال يوم عاشوراء.

لم يتمالك الحسين عليه السلام حينما رأى ولده أمامه يودعه، دون أن تنهمر دموع عينيه، ثم يجمع كلتا يديه خلف عنق ولده علي الأكبر عليه السلام ،ثم يجذبه ليضمه إليه ويشبعه لثماً وتقبيلاً حتى اختلطت دموعهما.

(نصارى): **أويلي من تلاقوا عند الاوداع**

امشابك طول لمن هوَد للقاع

ابن لاع لأبيه والأبو لاع

على اوليده يويلي وداع الأقشر

(١) بحار الأنوار،ج٤٥،ص:٣٦.

يـقـلـه والـدمـع بـالـعين دفَـاق

ابـعبره امـكسـره وبـقـلب خـفـاق

يـبـويـه وداعـة الـلـه هـذا الـفـراق

يـبـويـه اشـبـيـدنـه هـذا المقـدّر

ثم ودع النساء اللواتي تحلقن حوله وقلن له: إرحم غربتنا فلا طاقة لنا على فراقك.

لكنه مضى إلى حيث لقاء الأحبة محمد وحزبه صارخاً بالقوم:

أنـا عـلـي بـن الحسين بـن عـلـي

نـحـن وبـيت الـلـه أولى بـالـنـبـي

تـالـلـه لا يـحـكـم فـيـنـا ابـن الـدعـي

اضـربـكـم بـالسـيـف حـتـى يـنـحـنـي

اطـعـنـكـم بـالـرمـح حـتـى يـنـثـنـي

ضـرب غـلام هـاشـمـي عـلـوي

وبعد أن قتل مقتلة عظمية من القوم عاد إلى أبيه الحسين عليه السلام يشكو إليه ما ألم به من العطش والألم.

يشـكـو لخير أب ظـمـاه ومـا اشـتـكـى

ظمأ الحشى إلاّ إلى الظامي الصمدي

(نصاري): يـبـويـه شربة اميه لكبدي

اتـقـوه وارد لـلـقـوم وحـدي

يـبـويـه انـفـطـر كـبـدي وحـق جـدي

الشـمس والـعـطش والميـدان والحر

يـقـلـه مـنين أجـيب المـاي يـنـبـي

مـهـو حـكـيك شـعب قـلـبـي

إرجع يا بني، فإن لك كأساً مدخرة عند جدك رسول الله.

فرجع الأكبر إلى المعركة وما زال ينوشهم بسيفه وهم يفرون أمامه، إلى أن جاءه اللعين مرة بن منقذ العبدي، وهو يقول: عليَّ آثام العرب إن لم أثكل به أباه. وبينما كان الأكبر يطارد كتيبة من القوم، إذ جاءه هذا اللعين من خلفه ليضربه على رأسه ويفلق هامته، فنادى الأكبر! عليك مني السلام أبا عبد الله، هذا جدي رسول الله وقد سقاني من حوضه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً. ثم إن فرسه ذهب به إلى مخيم الأعداء «عظم الله أجوركم». هذا يضربه بسيفه، وذاك يطعنه برمحه، والآخر يرميه بسهم، حتى سقط على الأرض. وجاءه الحسين عليه السلام مسرعاً، اضطجع إلى جنبه واضعاً خده على خده وهو يقول: بني علي، على لدينا بعدك العفا. أما أنت، فقد استرحت من هم الدنيا وغمها، وأبقيت أباك لهمها وغمها وما أسرع اللحاق بك.

(نعي): يبني قول واسرع رد الأجواب

يبويه بيا جنب مض بيك الصواب

ردتك تـــرد وحشـــه الـــغـــيـــاب

وردتك تـــهـــيـــل عـــلـــي التراب

ماي وتبده بطولك وغاب

وبينما كان الحسين عليه السلام مستغرقاً في لوعة ولده، وإذ به يسمع صوتاً عزيزاً عليه وهاتفة تنادي: ولداه واعلياه واابن أخياه، نعم إنه صوت زينب عليها السلام، فنهض الحسين عليه السلام نحو المخيم.

(أبوه) شافه والنبل شابك عليراح

جـذب حسـره وصـفـق راح عـليراح

نـاده حسين يـا زيـنب عـلـي راح

يـخـويـه اظـلـمّـت الـدنـيـا عـلـيـه

(تخميس): أرى يقابلني زماني بالوفا

وأرى الهنا من بعد فقدك والصفا

وسيوفه جزرت شبيه المصطفى

فلتذهب الدنيا على الدنيا العفا

ما بعد يومك من زمان أرغد

يا كوكباً ما كان أقصر عمره

وكذا تكون كواكب الأسحار

جاورت أعدائي وجاور ربه

شتان بين جواره وجواري

مجلس الليلة العاشرة

شهادة عبد الله الرضيع عليه السلام

تعامل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام مع الموت

القصيدة

القريض

يا ليل عاشوراء ليتك لم تكن
فعظيم خطبٍ حلَّ فيك جليل
فإذا حللت فليت تبقى سرمداً
وظلام ليلٍ منك ليس يزول
إذ في صباح عن ظلامك ينجلي
لشموس خير الأنبياء أفول
يا ليل قد أسهرت عين بني الهدى
وبك اشتفى للظالمين قبيل
الله يا ليل الوداع لما جرى
فوداع آل الله فيك مهول
سل ما جرى جملاً ودعْ تفصيله
فقليله لم يحصه التفصيل
حيث الحسين يروح فيك مودعاً
آل الرسول بلوعةٍ ويقول
هذا الوداع أحبتي والملتقى
بجنان خُلدٍ ظلهنَ ظليل
فغدت بنات المصطفى في عولة
وعَراها من هول ذاك ذهول
ناداهم صبراً فقد نزل القضا
وبكاكم بعدي غداً سيطول

يـا لـيـل عـاشـوراء أيُّ مصـائب
وقـعت بصـحـبك وقـعـهـن وبـيـل
ضـاقت بـه الأرض الـفضـاء بـرحـبـهـا
ولم يـبـق فـيـهـا لـلـحسين مـقـيـل
أمسـى يـعـاتب دهـره بـخـيـامـه
والـدهـر لا يـرضـيـه عـنـه بـديل
لم تـرع يـومـاً ذمـة لابـن حـرة
هـذا خـلـيـلك يـا زمـان قـتـيـل
تسـمـعـه أخت مـا تـكـرر مـثـلـهـا
فـتـكـاد مـن هـول الـعـتـاب تميـل
وتـقـول قـد قـطـعت قـلـبـي يـا أخـي
حـزنـاً فـيـا لـيت الجبـال تـزول[1]

(بحراني ـ فائزي):

بين الخيم تمشي ومرتاعه العقيله
وسمعت أخوها أوي الدهر يحكي الليله
ويَّ الـدهـر يـحـكـي ويـذكـر لـه أفـعـالـه
وقـفت ابـجـانب خـيـمـتـه كـفـيـلـة أعـيـالـه
عـرفت الحوراء مقصده ابحكيَه القالة
دخـلـت عـلـيـه وعـيـونـه بمدمـع تسـيـلـه
قـلـهـا يـزيـنـب لـيش مـرتـاعـه أو تـبـكين
قـالت بـعـد المن تـخـبّـي دمـوعـهـه العين

(١) للشيخ محمد سعيد المنصوري عدا المقطع الأخير فهو للشيخ محمد نصار النجفي (رحمه الله)

انكان ما تبكي عليك اليوم يحسين

تبكي على من يا سبط طه وخليله

خليني ابكي عليك يا عزي ودلالي

بكرا انه يمناي تقصر عن شمالي

كيف أهجع الليلة وهي تالي الليالي

وياك بين المصطفى وحامي دخيله

(نعي): بكرا ترى ايحرقون الأطناب

يقولون أهل هالبيت غيَاب

وكلنه يخويه فوق التراب

شبكت علينا سيوف وحراب

(أبو ذية):أجاهد من بعد عينك وأنا ضل

وآنه سور لعيالك وأنا ظلّ

يوسفه تموت يبن أمي وأنا أظل

ردت قبلك توافيني المنيَه

من خطبة للإمام الحسين عليه السلام : «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملئن مني أكرشة جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت... ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى»[1].

(١) بحار الأنوار،ج٤٤،ص٣٦٦-٣٦٧.

هذا النص الذي يوثقه كتّاب السير والمقاتل حينما أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يغادر مكة باتجاه العراق. حيث كانت الصورة واضحة جداً أمامه عليه السلام لأنه قرأ الساحة ومتغيراتها وأحداثها، وعلم أنه عليه السلام نهض ورفع صوت الحق، في زمن ماتت فيه العزائم، وخارت فيه القوى، وتجردت الأمة عن حمل مسؤولياتها التاريخية والدينية، تجاه قرآنها ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم وعترة نبيها عليهم السلام.

أمة لم يخرج منها إلا إثنان وسبعون رجلاً فقط انضموا إلى ركب الحسين عليه السلام شكل الواعون المخلصون من أهل الكوفة غالبيتهم، فيما انكفأ الناس عن نصرة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا النص الموثق أكدته نصوص أخرى صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام كذلك الكتاب والذي وصف بأنه أصغر وثيقة من وثائق نهضة كربلاء الخالدة، والذي بعثه الإمام عليه السلام إلى من بقي في المدينة من بني هاشم صبيحة خروجه من مكة، والذي كان نصه: «**من لحق بي استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح والسلام**»[1].

هذا إضافة إلى نصوص أخرى متضافرة على هذا المعنى، سجلتها أحداث طريق كربلاء. حتى قال الإمام زين العابدين عليه السلام كما روي عنه: «**لم نترك حجنا مع الحسين** عليه السلام، فما نزل منزلاً وما ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا عليه السلام وقتله، وقال يوماً: **ومن هوان الدنيا على الله عز وجل أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل**»[2].

ولنا أن نسأل ونحن في ليلة الشهادة والخلود، في ليلة عقمت الدنيا أن توجد لها نظيراً أو تحدث إلى جانبها رديفاً: يا ترى لماذا كان الإمام الحسين عليه السلام

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٦٦-٣٦٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص ٩٠-٨٩

يؤكد على مسألة الموت والشهادة والقتل، وهو لا يزال في الخطوة الأولى من طريقه من مكة إلى العراق؟ ألم يكن المتوقع من أي قائد في مثل هكذا موقف أن يمني أصحابه بالظفر والنصر والغلبة على الأعداء، فيقوي عزائهم ويشحذ همهم ويثير حماستهم؟.

بل إنه عليه السلام لم يك يطرح هذا الاحتمال، فهو يسعى ليؤكد حراجة الموت وضرورة المواجهة وحتمية الشهادة، في أي حوار أو سؤال يثار، كما حدث حين لقاء الفرزدق الشاعر الذي جاء بأمه يحج بها، فلقي الحسين بالصفاح (في أطراف مكة) فسأله الحسين عليه السلام **عن أخبار الناس خلفه، فقال له: على الخبير سقطت، إن القوم قلوبهم معكم وسيوفهم عليكم، والقضاء ينزل من السماء؟ فقال الحسين عليه السلام : صدقت، لله الأمر.**

فكيف نتصور المستوى النفسي والمعنوي لأنصار الحسين عليه السلام وهم يعيشون هذه الإرهاصات والتوقعات التي تحكي عن واقع لا مفر منه بل حتى كأنه قد حلّ فعلاً؟!.

وقد أرّخ الفرزدق لقاءه بالحسين عليه السلام ضمن قصيدة له؛

رأيت الحسين بـــأرض الصـــفـــاح

عـــلـــيـــه الـــيـــلامـــق والـــدّرق

إذن لنا أن نتساءل عن مغزى هذا التأكيد المتصل والتنبيه المتواصل على حقيقة ما ينتظر ركب الحسين عليه السلام من أحداث وتطورات؟ ويمكن أن نتأمل ما يلي:

١) أراد الحسين عليه السلام أن يطرح ثقافة تغاير الثقافة التي دأب الأمويون على إشاعتها في الأداء حيث كانت ثقافة السلطة الأموية قد جعلت من الموت سبيلاً لإشاعة الخوف والوجل والهلع من مواجهته، وقد شجعه على ذلك حالة الرخاء والنعيم التي صبغت أوضاع المسلمين عامة آنذاك، حيث برزت نتائج

الفتوحات وما تترتب عليها من غنائم، من أموال ومتع ومقتنيات لم يكن المسلمون العرب سابقاً في معرفة بها.

ولو راجعنا تاريخ المسلمين منذ آخر محاولة للمواجهة والتي انتهت بصلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية سنة أربعين للهجرة، لما وجدنا أي محاولة لمواجهة الأمويين أو التصدي لما أشاعوه في الأمة من خوف وتهجير للعائلات الكوفية الموالية لأهل البيت إلى خراسان، ومن قتل لخيرة المجاهدين من الصحابة من أمثال حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهما.

لقد حليت الدنيا في العيون وغابت التربية القرآنية وهُجرت السنة المطهّرة، وكان لا بد من مواجهة لهذا الانحدار والتخاذل، فكانت ثقافة تحمّل المسؤولية والنهوض بالواجب الرسالي، وإن أدى ذلك إلى الموت. وكان الحسين عليه السلام يوضح هذا الهدف في أكثر من مناسبة كقوله عليه السلام: «**الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون**»[1].

٢) علة تنقية وفرز اعتمدها الحسين عليه السلام، حتى يتخلص ركبه الرسالي من كل إنسان غير مؤهل لتحمل أعباء طريق ذات الشوكة. وهذه مسألة تبدو في غاية الأهمية، ولها انعكاس على عمق النهضة الحسينية الخالدة ودائرة تأثيرها وتغييرها.

لأنه لولا عملية التنقية والغربلة والفرز التي اعتمدها الإمام الحسين عليه السلام في الطريق إلى كربلاء، وهو يؤكد في مناسبة وأخرى على حتمية المواجهة الدامية التي ستنتهي بالشهادة المحققة، (**لا محيص عن يوم خط بالقلم**)[2]، لبقي الكثير من أصحاب المطامع وطلاب المناصب الذين التحق المئات منهم

(١) راجع مقتل الحسين للسيد محمد باقر بحر العلوم،ص١٧٦،دار الزهراء

(٢) بحار الأنوار،ج٤٤،ص ٣٨٣

بركب الحسين عليه السلام، حيث كان يغلب على ظنهم أن الحسين ماضٍ لاستلام مقاليد الحكم لا محالة، وإنه لا يجرؤ على قتله أو المساس به أحد. ولهذا، فإنهم سيحصلون على ما يتوقعونه من مكاسب ومناصب وأعطيات.

ولو تصورنا أن هؤلاء بقوا بركب الحسين عليه السلام حينما وصل إلى كربلاء ثم جاءت أحداث يوم عاشوراء، ورأى هؤلاء الموت أمامهم رأي العين، فإن الموقف المتوقع من هؤلاء هو الهرب من المواجهة، لأنهم لم يلتحقوا بالحسين عليه السلام إلا من أجل المصالح والمطامع.

والخطورة لا تكمن في بقاء طلاب الدنـ هؤلاء أو انسحابهم من المعركة والمواجهة بل الخطورة تكمن في أن الصورة ستكون باهتة والتأثير سيكون منحسراً ولن تتمتع نهضة الحسين عليه السلام بتلك الصورة الرسالية الأخاذة، ولن تُعرف بتلك المواقف الإيمانية الرائدة التي سطرها شهداء الطف يوم عاشوراء، حيث لم يبد من أي منهم أي موقف يدعو إلى الهزيمة أو الانسحاب من المواجهة أو النكوص عن مقارعة الأعداء. ولو حدث هذا فعلاً، لما كان لثورة الحسين عليه السلام ميزتها وصورتها وعظمتها ولما كان لها خلودها وتأثيرها.

لقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن ينقّي مسيرته الرائدة من كل أصحاب المطامع والمصالح، ولم يبقَ معه إلا المخلصون الواعون الذين سطروا أروع الصفحات وأبين المواقف حيث لم يغيروا مواقفهم ولم يتركوا إمامهم ولم يستسلموا لأعدائهم.

وكانت أكبر عملية تنقية قام بها الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء، حينما أخبر الناس بنبأ استشهاد مسلم بن عقيل (رض)، حيث تفرق الناس عنه يميناً وشمالاً ولم يبق معه إلا الذين خرجوا معه من مكة المكرمة والقليل ممن التحق به في الطريق.

كان من أهداف الحسين عليه السلام من وراء تكرار وتبيان مصير حركته ومآل مسيرته أن يعدّ أصحابه ويهيىء أهل بيته لذلك اليوم، فهي عملية إعداد وتربية وتركيز مفاهيم وتأكيد قيم. ولهذا فإننا لو حاولنا أن نؤرخ لكلمات الحسين عليه السلام منذ خروجه من مكة أو من المدينة إلى وصوله إلى كربلاء، لوجدنا هناك تصعيداً في لغة التحدّي، ورفعاً لمستوى الإعداد.

نعم، لقد كان أنصار الحسين عليه السلام وأهل بيته يمتلكون الأهلية ليكونوا أبطال كربلاء وشجعان عاشوراء. ولولا هذه الأرضية، لما أمكنهم مواصلة الدرب وإكمال المسيرة، فالفرق بينهم وبين الذين التحقوا بالحسين من أجل المصالح فرق واضح وكبير. ولهذا كان تذكير الحسين عليه السلام يعطي نتائج فيهم غير النتائج التي كان يعطيها في أولئك.

فالتأثيرات من ذكر الموت كانت تقع موقع الفزع والهلع على أصحاب المطامع فكانوا يهربون ويتركون الركب الحسيني. في حين أن استمرارية ذكر الموت والشهادة والقتل كانت تحدث نتائج مغايرة في المخلصين الواعين من أنصار الحسين عليه السلام وأهل بيته. ﴿**ليمحص الله الذين آمنوا**﴾[1].

ولهذا كان أصحاب الحسين عليه السلام تزداد وجوههم إشراقاً ومواقفهم رسالية وثباتهم أسطورية كلما أحدق بهم الخوف وأحاط بهم العدو واقتربت منهم المواجهة.

وكان لهؤلاء الأبطال موقف ـ وأي موقف هذه الليلة، ليلة عاشوراء ـ حيث إن الإمام الحسين عليه السلام خطبهم حينما جنّ ظلام هذه الليلة بعد أن جمعهم قائلاً:

«**أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني**

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين. أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً»[1].

وقد أخبرني جدي رسول الله ﷺ بأني سأساق إلى العراق، فأنزل أرضاً يقال لها عمورا وكربلاء، وفيها استشهد وقد قرب الموعد.

ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرقوا في سوادكم وموائنكم فإن القوم إنما يطلبوني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري»!.

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العباس بن علي عليه السلام وتابعه الهاشميون، والتفت الحسين عليه السلام إلى بني عقيل وقال: **حسبكم من القتل مسلم، إذهبوا قد أذنت لكم.** فقالوا: إذاً، ما يقول الناس وما نقول لهم؟ إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرمِ بسهم ولم نطعن برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا، لا والله لا نفعل ذلك، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، نقاتل معك حتى نرد موردك، قبّح الله العيش بعدك.

ثم جاء دور الأنصار فقال مسلم بن عوسجة (رض):

أنحن نخلي عنك؟ وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقك؟ أما- والله - لا

(١) بحار الأنوار، ج٤٤ ص:٣٩٢-٣٩٣

أفارقك حتى أطعن في صدروهم برمحي وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به، لقذفتهم بالحجارة حتى أموت معك.

ثم قال سعيد بن عبد الله الحنفي: والله، لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسوله ﷺ فيك. أما ـ والله ـ لو علمت أني أقتل ثم أحيا أم أحرق حياً ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة، لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها؟!!

وقال زهير بن القين(رض): والله، وددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف مرة، وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك!

ثم تكلم باقي الأصحاب بما يشبه بعضه بعضاً، فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً»[1].

وهكذا أوضحت المقالات عن عمق الإيمان ووضوح الرؤية وثبات الموقف.

وجاء يوم عاشوراء ليجد أولئك الأشاوس عميق ذلك الوعي والثبات.

وتنادت للذبِّ عنه عصبة
ورثوا المعالي أشيباً وشبابا
من ينتدبهم للكريهة ينتدب
منهم ضراغمة الأسود غضابا
خفّوا لداعي الحرب حين دعاهم
ورسوا بعرصة كربلاء هضابا
أُسُد قد اتخذوا الصوارم حليةً
وتسربلوا حلق الدروع ثيابا

(١) بحار الأنوار،ج٤٤ ص:٣٩٢-٣٩٣

وجـــدوا الـــردى مـــن دون آل محمـــد

غـــديـــاً وبـــعـــدهـــم الحيـــاة عـــذابـــا[1]

وتفرغ أصحاب الحسين عليه السلام هذه الليلة ليعدوا للمواجهة يوم غدٍ، ثم لينقطعوا إلى الله تعالى قياماً وقعوداً ركوعاً وسجوداً. وذكر السيد ابن طاووس في اللهوف أن اثنين وثلاثين رجلاً عبروا من معسكر عمر بن سعد إلى معسكر الحسين عليه السلام تلك الليلة وبقوا معه حتى نالوا الشهادة.

أما الحسين عليه السلام ، فقد قضى بعض هذه الليلة في تفقد التلاع ومواقع الأرض التي تحيط بالمخيم ووضع، خطة الحرب وأمر بحفر خندق حول الخيام التي أمر بتقريبها وسد الفراغ بينها.

كما قضى شطراً من هذه الليلة في انقطاع إلى الله تعالى، تلاوة لكتابه وذكراً لآلائه وصلاة لقدسه تبارك وتعالى. وكان قد قال للقوم لما أرادوا الحرب عصر يوم التاسع: «**إن الله تعالى يعلم أني أحب الصلاة له وتلاوة القرآن وكثرة الاستغفار**» بينما قضى الشطر الآخر من ليلته الأخيرة هذه مع أهله وعياله وتوديعهم وإعدادهم لتحمل الرزايا ومواجهة المصائب ورحلة السبي الطويلة التي هي بانتظارهم.

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«**إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني، إذ اعتزل أبي في خباء له، وعنده (جون) مولى أبي ذر، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:**

يـــا دهـــر أفٌ لك مـــن خـــلـــيـــلِ

كـــم لك بـــالإشـــراق والأصـــيـــل

(١) من قصيدة للسيد رضا الهندي (رحمه الله).

مـــن صـــاحب أو طـــالب قـــتـــيـــلِ

والـــدهـــر لايـــقـــنـــع بـــالـــبـــديـــلِ

وإنما الأمـــــر إلى الجلـــيـــــلِ

وكـــل حـــي ســـالك ســـبـــيـــلـــي

ما أقرب الوعدَ من الرحيل

فأعادها أبي مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددت دمعتي ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل!

وأما عمتي زينب فإنها لما سمعت ما سمعت ـ وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع ـ فلم تملك نفسها دون أن وثبت تجر أذيالها، وهي حاسرة حتى انتهت إليه وهي تنادي: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وكمال الباقين.

فنظر إليها الحسين عليه السلام نظر رأفة ورقة وقال: يا أخيه لا يذهبنَ بحلمك الشيطان. قالت: بأبي أنت وأمي، استقتلت نفسي فداك، فرد الحسين عليه السلام غصته وترقرت عيناه بالدموع، فقالت: رُدَنا إلى حرم جدنا رسول الله فقال: هيهات لو تُرك القطا ليلاً لغفا ونام! فقالت: واويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً؟ فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي.فقال لها الحسين عليه السلام : أخيه إتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون[1].

ثم سمعت بقية النسوة، فجئن وبكين ونصبن المناحة.

(نعي):تـــدرون بـــيَـــه هـــاشـــمـــيَـــه

كـــلـــمـــة عـــدو تصـــعب عـــلـــيَـــه

(١) راجع مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم ص ٢١٢-٢١٤ مقتل السيد بحر العلوم،ص٢٧٩-٢٨١.

أنـا امـنين اجـتـنـي الـغـاضـريـه

رحـتـوا جـمـع مـن بين أديّـه

(نعي): وصـوا بـنـا قـبـل لترحـلـون

ومـن قـبـل عـالـغبره تـنـامـون

يـحسين انـتـه نـور الـعـيـون

حـرمـه وغـريـبـه لا تـقـطـعـون

مشـفـنـا الأهـل كـلـهـم يـغـيـبـون

وعـن الـوطـن كـلـهـم يشـيـلـون

ثم إن الحسين عليه السلام أنبأهم بما يحل بهم من رزايا، ومحن وأوصاهم بتقوى الله وتحمل ذلك بصبر واحتساب.

وكان للحسين عليه السلام وداع مع أخواته وإخوته وبناته وأبنائه، وكان له وداع خاص بطفله الصغير عبد الله، يطيل النظر إليه ويتأمل محياه وشبهه بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا وداع، ووداع آخر يوم عاشوراء يوم غد، لما قتل أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته ولم يبق معه أحد ينصره، وإذ بزينب تأتي إليه بطفله الرضيع بعد أن جاءت به إليها أمه الرباب وهي تقول: هاكم رضيعكم ياآل محمد، فأخذه الحسين عليه السلام بدوره ومشى به إلى الأعداء رافعاً إياه أمامهم منادياً: يا قوم إن كان للكبار ذنب فما ذنب الصغار، خذوه واسقوه جرعة ماء، فلقد جفّ صدر أمه من اللبن!

فـبـكـى لما رآه يـتـلـظّـى بـأوامْ

بدموع من أماقٍ تخجل السحب السجامْ

فـنـحـا الـقـوم وفي كفـيـك ذيـاك الـغـلام

وهـمـا مـن ظـمـأٍ قـلـبـاهـمـا كالجمرتين

فدعا في القوم بالله من خطب فظيعْ

نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيعْ

لاحظوه فعليه شَبَهُ الهادي الشفيعْ

لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

فالتفت عمر بن سعد إلى حرملة بن كاهل وقال له: إقطع نزاع القوم، فرماه حرملة بسهم فذبحه من الوريد إلى الوريد، فسال الدم وأخرج الطفل يديه من القماط وجعل يرفرف على صدر أبيه الحسين كالطير المذبوح. وضع الحسين عليه السلام يده تحت منحره فلما .متلأت دماً رمى بها إلى السماء.

فالتقط مما همى من منحر الطفل دما

ورماه صاعداً يشكو إلى رب السما

وينادي يا حكيم أنت خير الحكما

(نعي): تلقى حسين دم الطفل بيده

اشحاله اليقتل ابحضنه اوليده

شاله وملا كفه من وريده

ارماه للسم وللقاع ماخر

ولما عاد إلى أمه ورأت رضيعها مذبوحاً، صرخت: واولداه، واذبيحاه.

(نعي): كل المصايب يبني تهون

ولمصيبتك بالقلب كانون

فوق العطش بالسهم مطعون

يولدي ولجدّك اشيقولون

(أبو ذيه): مآتم للحزن ننصب ونبني

رماني حرمله ابسهمه ونبني

الطفل عاده يفطمونه وانا بني

انفظم يا ناس بسهام المنيّه

ومرضعة ناحت بجنب رضيعها

مولهة والوجد بادٍ وكامنُ

رأته وما بلت حشاشة صدره

ثدي ولا احنت عليه الحواضنُ

فودت بأن تسقي له ماء عينها

يروى ولكن ذلك الماء آجنُ

ومنعطف أهون لتقبيل طفله

فقبل منه قبله السهم منحرا

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الفهرس

المقدمة ٥

الليلة الأولى:

الحث على إقامة مجالس العزاء ١١

الليلة الثانية:

خصائص ثورة الإمام الحسين عليه السلام ٢٥

الليلة الثالثة:

الموت حافز أم مانع ٤١

الليلة الرابعة:

الجانب الأخلاقي في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ٥٧

الليلة الخامسة:

ثورة الإمام الحسين عليه السلام والتغير في الأمة ٧١

الليلة السادسة:

الوفاء بالوعد ٨٥

الليلة السابعة:

الإخوة في الإسلام ٩٩

الليلة الثامنة:

تكريم الإسلام للمرأة ١١٣

الليلة التاسعة:

مسؤولية الأبوين ١٢٩

الليلة العاشرة:

تعامل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام مع الموت ١٤٥

الفهرس ١٦٣